مشاعل الحياة

ميزون سعيد

الكتاب : مشاعل الحياة / الوالدان أمانة
المؤلف : ميزون سعيد
الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠١١
رقم الإيداع : ٢٠١١/٤٧٣٩
الترقيم الدولي : I.S.B.N: 978 - 977 - 493 - 076 - 8

الناشر
شمس للنشر والتوزيع
٨٠٥٣ ش ٤٤ الهضبة الوسطى- المقطم- القاهرة
ت/فاكس: ٢٧٢٧٠٠٠٤(٠٢)- ٠١٨٨٨٩٠٠٦٥(٠٢)
www.shams-group.net

الغلاف : إسلام الشماع

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لا يسمح بطبع أو نسخ أو تصوير أو تسجيل
أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة كانت
إلا بعد الحصول على موافقة كتابية من الناشر

مشاعل الحياة

الوالدان أمانة

ميزون سعيد

شمس
للنشر والتوزيع

قال تعالى:

(وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)

(الأحقاف-١٥)

إهـــداء

ومن أين لي كل هذا الحنان؟

ومن أين لي طلة الأرجوان..!

وعطر الصفاء... وحب العطاء..

وروح السكينة.. وصوت الإخاء..

لأمي

لأبي

لجدتي

بكل تواضع أهديكم هذا...

ابنتكم

شكـــــر

أتقدم بالشكر الجزيل لوالدي العزيز ووالدتي الغالية، وجدتي الحبيبة وإخوتي وصديقاتي؛ لدعمهم لي ومتابعتهم معي مراحل إعدادي هذا الكتاب.

ولا أنسى أيضًا الأخوة والأخوات الذين ساهموا بشكل فعال، سواء بتدقيقهم للكتاب أو بوضع ملاحظاتهم..

شكرًا لكم..

المحتوى

§ تقديم الدكتور مفيد العبد الله ١١

§ تقديم الدكتور وليد فتحي ١٥

§ مقدمة ١٨

§ مدخل ٢١

§ الأب.. الأم ٢٧

§ باب الأم ٣٣

§ باب بر الوالدين ٤٥

§ باب العقوق ٦١

§ باب الأبناء بين طاعة الوالدين والإحسان إليهما ٧٩

§ باب حقوق الأبوين في القرآن والسنة ٨٩

§ باب قصص وعبر في بر الوالدين وعقوقهما ٩٩

§ باب من أدعية الأنبياء والصالحين لآبائهم ١٢٩

§ قالوا عن الكتاب ١٤٢

§ قائمة المصادر والمراجع ١٤٣

تقديم

د. مفيد العبد الله

جامعة ظفار

٢٠١١/١/١

تشمل هذه المخطوطة نظرة كاشفة على الهدي الإلهي فيما يخص الوالدين والإحسان إليهما. وصنفت الكاتبة ما ورد في القرآن الكريم والحديث الشريف في أبواب تشمل باب الأم وباب برّ الوالدين وباب العقوق بالوالدين وباب الطاعة والإحسان للوالدين واتبعت بسلسلة من الأحداث الواقعية ذات الصلة بالموضوع، وختمت بأشهر أدعية الأنبياء والصالحين التي تشتمل الدعاء للوالدين.

لقد جمعت المخطوطة من الآيات الكريمة ما لا لبس فيه من مكانة الوالدين ووجوب البرّ بهما والإحسان لهما، حيث اقترن الإحسان للوالدين بعبادة الله وتكررت التوصية الإلهية البيّنة بالإحسان للوالدين ورعايتهما. وأعتقد أن المخطوطة أدرجت كل ما ورد في القرآن الكريم عن هذا الموضوع.

كما واستنارت الدراسة بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم التي أحاطت بهذا الموضوع وبيَّنته بشكل جليّ لا يدع مجالاً للشك

بأهمية الموضوع ومكانة برّ الوالدين في الديانة الإسلامية السمحة التي تنظم المجتمع وترعى الفرد وتضمن كرامته في حياته وبعد وفاته.

وساقت مُعدَّة المخطوطة من القصص الحقيقي ما يكفي من عِبر لمن يعقّ الوالدين ليرتدع ويتعلّم قبل فوات الأوان حيث عقوبته في الدنيا ستسبق ما ينتظره في الآخرة من عقاب والعياذ بالله.

لقد جاء الهدي الإسلامي مؤكدًا على برّ الوالدين من باب الشكر والعرفان على ما يكابده الوالدان، والأم بشكل خاص وبشكل طوعي ودون انتظار لجزاء، وقرن الإحسان للوالدين بعبادة الله وعدم الشرك به في ثنائية متلازمة في غير آية في القرآن الكريم. قال عزّ جلاله:

(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ)

(البقرة: ٨٣)

وتظهر الثنائية في سورة أخرى:

(وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا) (النساء: ٣٦)

وفي سورة الأنعام:

(قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (الأنعام: ١٥١)

وفي سورة الإسراء:

(وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) (الإسراء: ٢٣-٢٤)

وكما يرتبط الإحسان للوالدين بعبادة الله وعدم الشرك به، فإن الشكر لله على نعمه ارتبط بشكل متلازم مع نقيضه الكفر في غير آية في القرآن الكريم، كما في الآيات الكريمة التالية:

- **(لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) (إبراهيم: ٧)**
- **(إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ) (الزُمر: ٧)**
- **(قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) (النمل:٤٠)**

- **(وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) (آل عمران، الآية: ١٤٤)**

ومثل ذلك فإن الإحسان للوالدين هو بمثابة الشكر والعرفان على ما قدماه، بينما العقوق يمثل الجحود ونكران الجميل، وهو ما يستحق عليه الابن الجاحد العقوبة في الدنيا والثبور في الآخرة.

ولذا فإن ما تناولته الكاتبة في هذه المخطوطة هو موضوع ثري جدير بالاهتمام والتأكيد عليه لأنه درب يؤدي إلى رضا الله والى الجنة، وما أحوج الأجيال الشابة إلى التبصر في ذلك الموضوع.
سعدت بقراءة هذه المخطوطة وأدعو الله أن يبارك مُعدَّتها وأن يجعلها ممن يفوزون برضا الله والإحسان للوالدين.
والله الموفق.

تقديم ثانٍ

د. وليد فتحي

مدرب ومحاضر دولي

القاهرة

الحمد لله رب العالمين، حمدًا طيبًا كثيرًا مباركًا فيه ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شاء من شيء بعد، أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه،

أما بعد؛

فسبحان الذي ألهم الوالدين حب الأبناء، وجعلهم قرة أعين للأمهات والآباء، ومصدر السعادة والهناء، فتراهم يفرحون بفرحهم ويسعدون بنجاحاتهم، ولا أعلم على وجه الأرض أحدًا يتمنى أن يكون أحد أفضل منه إلا الأب والأم مع أبنائهما، فاللهم اجزي كل والد عن ولده خير الجزاء إنك صاحب الفضل وفيك الخير والرجاء.

أما بعد؛

اهتم الإسلام ببر الوالدين والإحسان إليهما والعناية بهما، حيث جاء بأوامر صريحة تلزم المؤمن ببر والديه وطاعتهما، قال تعالى موصيًا عباده: (وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا) [الأحقاف:١٥]، وقرن برهما بالأمر بعبادته في كثير من الآيات؛ برهان ذلك قوله

تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [الإسراء:٢٣]، وقوله تعالى: (وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [النساء:٣٦].

وجاء ذكر الإحسان إلى الوالدين بعد توحيده عز وجل لبيان قدرهما ووجوب برهما. قال القرطبي رحمه الله في قوله تعالى: (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [الأنعام: ١٥١]، أي: (برهما وحفظهما وصيانتهما وامتثال أوامرهم) وتدبر قوله تعالى: (واخفِض لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرا) [الإسراء: ٢٤] تأمل قوله تعالى "من الذل" ولم يقل من الرحمة، فكمال البر ما كان مع الذل وليس الحب فقط.

ولازلت أذكر يومًا وأنا صغير السن حينما كنت أصلي مع والدي فذهبت بعد انتهاء الصلاة وأحضرت حذائه ووضعته عند قدميه وساعدته في لبسه، فإذا بأبي وقد اغرورقت عيناه بالدموع فسألته ما بك يا أبي قال لا شيء إلا أنني قد فعلت هذه الذي تفعل الآن مع جدك قبل ٤٠ سنة..

فالله الله في آبائكم وأمهاتكم فإنهما طريقك للجنة وسبب سعادتك في الدنيا قبل الآخرة، وتذكر أنك لن تنحني نحو قدمي والديك مرة إلا رفعك الله بها مرة في الدنيا قبل الآخرة، وما رأيت أبدًا ناجحًا في الدنيا بارزًا فيها إلا ورأيت دعوات والديه تلاحقه أينما حل وارتحل، فلا تضيع هذا الخير العظيم.

ثم أما بعد؛

فقد طلبت مني أمة الله الموفقة بتوفيقه سبحانه أن أقدم لهذا الكتاب، فألفيته مع بساطته قيمًا ومفيدًا، فالله أسأل أن يمن علينا بتوفيقه وأن ينعم علينا بتأييده، إنه سبحانه بكل جميل كفيل، وهو مولانا وحسبنا ونعم الوكيل.

مقدمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على الحبيب المجتبى، وعلى آله وصحبة ومن اتبع الهدى..

تحية عطرة وبعد...

يقول جل جلاله: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [الإسراء:٢٣]

تحدثت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كثيرًا عن أهمية وفضل بر الوالدين، سواء في حياتهما أو بعد موتهما، فقد جاء ديننا الإسلامي الحنيف ليحث أبناءه على ضرورة بر الوالدين، ومن هنا جاءت فكرة إعدادي لهذا الكتاب، لما رأيت من أهمية بالغة في التركيز على هذه النقطة لنشرها للمجتمع، فمما يحزن النفس ويتعبها ما نراه في واقعنا الآن من عقوق الأبناء لآبائهم وعدم احترامهم كما يجب! فالحديث في هذا المقام يطول، ولا أجد متسعًا كي أنشر عباراتي المتقطعة من هول ما نراه.. إنما سنجعل تلك العبارات والكلمات تتحدث بنفسها من خلال المواضيع الشيقة بصفحاتنا.

في الواقــع؛ كانـت البدايــة مـع مـشوار هـذا العمـل عنـدما كنـت فـي الصف الحادي عشر. كان بسيطًا جدًا ويشمل على ١٣ صفحة فقط.. حينها لم أكن مطلعة على عدد كبير من المواضيع والكتب المرتبطة بـالعنوان.. عمومـاً اسـتمر العمـل والتجميـع إلـى أن أصـبح مكـتملاً نوعـًا ما ، بعون من الله وتوفيقــه.

أعزائي، أنتم مدعوون معنا للإبحار في هذه الأبواب المتنوعة والتـي تـسلط الـضوء علـى عـدد مـن المواضـيع المهمـة المدرجـة تحـت عنواننـا، ومنهـا : بـر الوالـدين، العقـوق، الأبنـاء وطاعـة الوالـدين، أهمية بر الوالدين في الإسلام، حقوق الوالـدين فـي القرآن والـسنة، وفـي الأخيـر لابـد لنـا مـن وقفـات لنـتعظ فيهـا ونعتبـر مـع القـصص الواقعية تليها عدد من الأدعية للوالدين..

هذا ونسأل الله الإخلاص في القول والعمل،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ميزون

مدخل

إطلالة

عن أبي بكر رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(اثنتان يعجلهما الله في الدنيا : البغيُ وعقوق الوالدين)

(أخرجه البخاري)

أكد الله الوصية بالوالدين في كتابه، وجعل ذلك من أصول البر، التي اتفقت عليها الأديان جميعًا، فوصف الله يحيى بقوله: (وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ، وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا) (مريم: ١٤) وكذلك وصف عيسى على لسانه في المهد: (وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا) (مريم: ٣٢) وكذلك جاء القرآن فجعل الأمر ببر الوالدين بعد عبادة الله وحده، بعد التوحيد.. (وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً) (النساء: ٣٦) (أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ) (لقمان: ١٤) (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) (الإسراء: ٢٣) وبخاصة الأم، فهي التي حملت الإنسان كرهًا ووضعته كرهًا، وتعبت في حمله وتعبت في وضعه، وتعبت في إرضاعه، ولذلك وصى النبي بها ثلاث مرات، وبالأب مرة واحدة.

والقرآن جعل للوالدين المشركين حقًا، قالت أسماء بنت أبي بكر للنبي صلى الله عليه وسلم: إن أمي زارتني وهي مشركة، أفأصلها؟ فنزل قول الله تعالى: (لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (الممتحنة: ٨) وقال تعالى في سورة لقمان في الوالدين اللذين يجاهدان ويحاولان كل المحاولة لتكفير ولدهما وجعله مشركًا بدل كونه مؤمنًا.. (وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً) (لقمان: ١٥) حتى مع

محاولة التكفير والصد عن طريق الله، وعن الإيمان، مع هذا يقول "لا تطعهما" ولكن "صاحبهما في الدنيا معروفًا".

فهذا ما جاء به الإسلام، أن يكون الإنسان بارًا بأبويه، وإن جارا عليه، وإن ظلماه.. وإن جفواه.. وهذا هو شأن مكارم الأخلاق: أن تصل من قطعك، وتبذل لمن منعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتُحسن إلى من أساء إليك. هذا في الناس عامة، فكيف في ذوي الأرحام؟ فكيف بالوالدين؟

ويقول فضيلة الشيخ المنجد:

أولاً: أنها طاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم..

قال الله تعالى: (وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً)، وقال تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا).

وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال سُئل النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل قال إيمان بالله ورسوله ثم بر الوالدين.. الحديث. وغيرها من الآيات والأحاديث المتواترة في ذلك.

ثانيًا: إن طاعة الوالدين واحترامهما سبب لدخول الجنة كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ

رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ قِيلَ مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلْ الْجَنَّةَ.

(صحيح مسلم ٤٦٢٧)

ثالثًا: أن احترامهما وطاعتهما سبب للألفة والمحبة.

رابعًا: أن احترامهما وطاعتهما شكر لهما لأنهما سبب وجودك في هذه الدنيا وأيضًا شكر لها على تربيتك ورعايتك في صغرك، قال الله تعالى: (أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ....).

خامسًا: أن بر الولد لوالديه سببُ لأن يبره أولاده..

قال الله تعالى: (هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ).

والله أعلم.

نـافـذة

عِنْدَمَا أَنْحَنِي لأُقَبِّلَ يَدَيْكِ

وَأَسْتَجْدِي نَظَرَاتِ الرِّضَا مِنْ عَيْنَيكِ

وَأَسْكُبُ دُمُوعَ خُضُوعِي فَوْقَ صَدْرِكِ

حِينَهَا فَقَطْ....

أَشْعُرُ بِاكْتِمَالِ رُجُولَتِي

(إسلام شمس الدين)

الأب.. الأم

إطلالة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أرضى والديه فقد أرضى الله، ومن أسخط والديه فقد أسخط الله) رواه ابن النجار

الأبوان رمز العطف، وعنوان الشفقة ومهبط الرحمة.. الأبوان زينة الحياة وسعادة الوجود وامتداد الرعاية والشعور بالعناية.. الأبوان وجودهما دعاء مستمر، وحرص مستميت، وعاطفة ملازمة.

هل هناك أروع من ابتسامة الأم في البيت ومن حسن لقائها وروعة دعائها؟ هل هناك أمتع لدى الولد البار من يد أبيه الحانية يجد بردها على صدره ويلمس عطفها بكفه؟

إن الوالدين يندفعان بالفطرة إلى رعاية الأولاد، وإلى التضحية بكل شيء حتى بالذات.

إن الشريعة الإسلامية اعتنت كل العناية ببر الوالدين: قال الله عن يحيى عليه السلام: (وَبَرًّا بِوَالِدَيْه، وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا) (مريم: ١٤) وقال عن عيسى عليه السلام: (وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا) (مريم: ٣٢)

والأحاديث كثيرة منها: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؛ ثلاثًا، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئًا فجلس فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، فمازال يكررها حتى قلنا: ليته سكت" (متفق عليه).

ثم يبين الرسول شؤم العقوق وفظاعته، حيث يقول صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المرتجلة، والديوث) (أخرجه النسائي). ويقول صلى الله عليه وسلم: (رضا الرب من رضا الوالد وسخط الرب في سخط الوالد).

فاحذر أخي المسلم من عقوق الوالدين فإنه كبير، ومن مظاهر العقوق: تعريض الوالدين للسب أو اللعن، وكذلك الاهتمام بالزوجة والذرية وصرف كل الوقت والمال والعناية بهم، وترك الوالدين، فاهتمام الرجل بأهله مطلوب ولكنه لا يُقدَّم على الوالدين.

قال صلى الله عليه وسلم: (إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل: يا رسول الله كيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه). وهذه للأسف نسمعها من كثير من الناس.

ومن مظاهر العقوق عدم برهما والإحسان إليهما بعد وفاتهما. قال رجل: يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما بعد موتهما؟ قال: نعم الصلاة عليهما أي الدعاء لهما والاستغفار وإنفاذ عهدهما بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما.

(رواه أحمد)

وقال صلى الله عليه وسلم: "إن البر صلة الرجل أهل ود أبيه"

(رواه مسلم)

يا أخي المسلم إن البر بالوالدين سبب بإذن الله تعالى للفوز ببر الأبناء، فكما تدين تُدان.

نـافـذة

لَيْسَ يَرْقَى الأَبْنَاءُ فِي أُمَّةٍ مَا

لَمْ تَكُنْ قَدْ تَرَقَّتْ الأُمَّهَاتُ

جميل الزهاوي

بـــاب الأم

إطلالـة

أيا أمًا .. أيا روحًا ..
أيا شمسًا
تضويني ...
تعالي اطلبي مني ...
وإن شئتِ سأفديكِ ..
فروحي كلها تفدي .. حنانًا لا يضاهيكِ ..
ونبضي صار يُسمِعُني .. شريطًا .. لا يواريني
أنا أعني ! بأني لا أُقدِرُ ماذا يكفيكِ ؟؟؟
فأنتِ الكون والبحر ...
وكل سعادتي ... فيكِ
دمتِ بخير

(ميزون سعيد)

الأم.. مكانتها ودورها

§ جندية مجهولة:

فعلى البسيطة من هذا الكون ثمَّ مخلوقة ضعيفة، تغلب عليها العاطفة الحانية، والرقة الهاتنة، لها من الجهود والفضائل ما قد يتجاهله ذوو الترف، ممن لهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، ولهم قلوب لا يفقهون بها، هي جندية حيث لا جند، وهي حارسة حيث لا حرس، لها من قوة الجذب وملكة الاستعطاف ما تأخذ به لبَّ الصبي والشرخ كلَّه، وتملك نياط العاطفة دقها وجلّها، وتحل منه محل العضو من الجسد، بطنها له وعاء، وثديها له سِقاء، وحجرها له حِواء، إنه ليملك فيها حق الرحمة والحنان، لكمالها ونضجها، وهي أضعف خلق الله إنسانًا..

إنها مخلوقة تسمى الأم، وما أدراكم ما الأم؟!

أم الإنسان ـ عباد الله ـ هي أصله وعماده الذي يتكئ عليه، ويرد إليه (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم من أنفسكم أزوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم من أزواجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً) [النحل:٧٢]. وكون الشيء أصلاً وعمادًا دليل بارز بجلائه على المكانة وعلو الشأن وقوة المرجعية، ألا ترون أن أم البشر حواء، وأم القوم رئيسُهم، وأم الكتاب الفاتحة، وأم القرى مكة، وفي ثنايا العلوم كتاب الأم للشافعي رحمه الله؟!

§ لماذا الحديث عن الأم؟:

من خلال هذه المقدمة الوجيزة عن الأم، ربما يدور بخلد سائل ما سؤال مفاده: أيوجد ثمَّ مشكلة تستدعي الحديث عن مخلوقة ليست هي بدعًا من البشر؟ أم أن الحديث عنها نوع تسلية وقتل للأوقات؟ أم أن الأمر ليس هذا ولا ذاك؟.

والجواب الذي لا مراء فيه: أن الأمر ليس هذا ولا ذاك، بل إن الأمر أبعد من هذا وأجلّ، إننا حينما نتحدث عن الأم فإننا نتحدث عنها على أنها قرينةُ الأب، لها شأن في المجتمع المكوَّن من البيوتات، والبيوتات المكونة من الأسر، والأسر المكونة منها ومن بَعْلِها وأولادها، هي نصف البشرية، ويخرج من بين ترائبها نصف آخر، فكأنها بذلك أمةٌ بتمامها، بل هي تلد الأمة الكاملة، إضافة إلى ما أولاه الإسلام من رعاية لحق الأم، ووضع مكانتها موضع الاعتبار، فلها مقام في الحضانة، ولها مقام في الرضاع، وقولوا مثل ذلك في النفقة والبرِّ وكذا الإرث.

فالحديث عن الأم إذًا يحتل حيزًا كبيرًا من تفكير الناس، فكان لزامًا على كل من يهيئ نفسه لخوض مثل هذا الطرح أن يكون فكره مشغولاً بها، يفرح لاستقامة أمرها، ويأسى لعوجه، ويتضرس جاهدًا في الأطروحات المتسللة لواذًا؛ ليميز الخبيث من الطيب، فلا هو يسمع للمتشائمين القانطين، ولا هو في الوقت نفسه يلهث وراء المتهورين.

والمرتكز الجامع في هذه القضية، والذي سيكون ضحية التضارب والمآرب، هي أمي وأمك وأم خالد وزيد، وحينئذ يجني الأولاد على أمهاتهم، ويقطعون أصلاً وأسًّا قرره رسول الله لرجل حين جاء يسأله: (من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك) [أخرجاه في الصحيحين]. وسلام الله على نبيه عيسى حين قال: (وَبَرًا بِوَالِدَتِي وَلَم يَجعَلني جَبارًا شَقِيًا) [مريم:٣٢].

§ ماذا يحدث لو غاب دور الأم؟:

إن الارتفاع بشأن الأم في أوساط الناس وفق الحدود والمعالم التي حددها الشارع الحكيم لهو من دواعي رفعة البيت المسلم، كما أن المحاولات الخبيثة في خلخلة وظيفتها التي فطرها الله عليها من حيث تشعر هي أو لا تشعر، سببٌ ولا شك في فساد الاجتماع، وضياع الأجناس، وانثلام العروة، فأزاحت الأم عن نفسها مسئولية النسل ورعايته، فأصبحت لنفسها لا لرعيتها، ومن ثم قد تُسائل هي نفسها عن السبب، وما السبب إلا ما بيَّناه آنفًا، ولعمرُ الله كم قد تحقر الأم نفسها، أو يغيب عن وعيها مكانتها وسلطانها، ولو رفعت ببصرها قليلاً في ديوان من دواوين سُنة المصطفى لوجدت قول النبي: (والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده) [رواه البخاري]،

ومعلوم أن الرعاية لا توكل إلا لذي قدرة وسلطان على رعيته، ومن هنا عُلم أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

لقد أصبح دور الأم ضعيفًا في تربية الأبناء وتوجيههم الوجهة الصحيحة؛ بسبب جهلها أو غلبة المفاهيم الدخيلة عليها، فانحرفت مع التيارات المناوئة لما فُطِرت عليه، فخرج كثير من الأمهات من بيوتهن، وقلَّ تدينُهن وقربُهن من الله، فحصل الإهمال وضاع العيال، ولربما سلَّمت فلذات كبدها إلى أيدي خادمة غير مسلمة! وإن كان ثم مسلمة فجهلها أضعاف جهل الأم، فكانت كالمستجير من الرَّمْضاء بالنار، والمعلوم المقرر أنه ليس لبشر أمان.

§ أماه .. لا تَنخدعي!

لقد انقاد كثير من الأمهات وراء صيحات أهل الكفر، فأعجبت ببريق ما عندهم، وظهر النَّهم عندهن، حتى إنك لتحسه من إحداهن، فتراها كلما تقدمت في السن والإنجاب ازدادت في التشبب، ولا تزال تبتدئ من حيث انتهى أهل الكفر أنفسهم. إذًا الأم هناك تعيش تعيسة مُهَانة، لا أمل لها في ولد ولا بنت، ولربما لم تشعر بقيمة الأمومة والبنوة إلا بكلب تقتنيه، أو سِنَّور يحل في قلبها محل ابن آدم، وذلك كله ليس بمانع هذا الحيوان من أن يكون يومًا ما وريثها الوحيد دون أولادها، وأولادها في غفلة سادرين، ينتظرون خبر وفاتها

بفارغ الصبر، لينعموا بما تخلفه من تركة أو عقار، وإن كانت الأم فقيرة الحال ففي دور العجزة والرعاية بالمسنين متسع لها ولمثيلاتها.

إن الذين يزدرون وظيفة ربة البيت التي هي الأم، هم جُهَّال بخطورة هذا المنصب وآثاره العميقة في حاضر الأمم ومستقبلها المشرق، بل إن أعباء هذا المنصب لا تقل مشقة ومكانة عن أحمال الرجال خارج بيوتهم، وإن القدرات الخاصة التي توجد لدى بعض الأمهات لا تبرِّر لهن إلغاء هذا المنصب، الذي لا يليق إلا لهن، ولا يلِقْن إلا له. (فطرة اللهِ التِي فَطَرَ الناسَ عَلَيهَا لاَ تَبدِيلَ لِخَلق اللهِ) [الروم:٣٠]

§ أكمل الأمهات:

ليس أكمل الأمهات تلك الأم التي امتلأت في عقلها بصنوف من العلوم والمعارف النظرية أو التجريبية، في حين أن القلب خواء مما ينفع بيتها أو يفيده، إن مثل هذه الأم تحل بما تعلمت مشاكل وتخلق مشاكل أخرى، لا ليس نضح الأم كمثل هذا، إنما الأم هي تلك المصونة العفيفة، التي أضاءت قلبها بنور الإيمان والطاعة، والاتباع للكتاب والسنة، والتي هي لبعلها وولدها كالإلهام والقوة في إدخال السرور، والنقص من الآلام، ولم تكن الأم قط أعظم من

الأب إلا بشيء واحد هو خلقها ودينها، الذي تجعل به زوجها وولدها خيرًا وأعظم منها، وقديمًا قيل: وراء كل رجل عظيم امرأة. فالمرأة – أيها الناس – إما زوجة حانية، أو أم مربية، أو هي في طريقها إلى هذا المصير النبيل بعد أن تشبّ عن الطوق.

§ دورك يا أماه:

إن تصور الأم قاعدةً في البيت لا شغل لها جهلٌ مُركَّب بمعنى الأسرة الحية، كما أن تصورها محلاً لإجادة الطهي والخدمة فحسب ضربٌ من السلوك المعوج الذي عرفته الأم الكافرة إبَّان إفلاسها الأخلاقي والأسري، والذي أثبت من خلاله أن الأم العاطلة خير من الأم الفاسدة الخرَّاجة الولاَّجة، وأن الأمهات المحتبسات في المخادع والبيوت أشرف من اللواتي يتكشَّفن لكل عين، ولا يرددْن يد لامس أو نظرة لاحظ.

ونحن – معاشر المسلمين – لا نريد في حياتنا من خلال الواقع المرير أن نوازن بين شرين، لنختار أحدهما أو أخفهما، كلا بل إننا نريد أن نحقق ما طالبنا الإسلام به، من إقامة أسرة مستقيمة يشترك الجنسان معًا في بنائها، وحمل تبعاتها على ما يُرضي الله ورسوله، ليتحقق فينا قول الباري جل وعلا: (وَالذِينَ ءامَنُوا وَاتبَعَتهُم ذُريتُهُم بِإيمانٍ ألحَقنَا بهِم ذُريتَهُم وَمَا ألَتنَاهُم من عَمَلِهِم من شيء كُل امرئ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ) [الطور:٢١].

يقول وكيع بن الجراح: قالت أم سفيان المحدِّث لولدها سفيان: اذهب فاطلب العلم حتى أعولك بمغزلي، فإذا كتبت عشرة أحاديث فانظر هل تجد في نفسك زيادة فاتبعه وإلا فلتتبعني. هذه هي أم أمير المؤمنين في الحديث.

وقبل ذلك حذيفة بن اليمان تسأله أمه: يا بني، ما عهدُك بالنبي؟ قال: من ثلاثة أيام، فنالت منه وأنَّبته قائلة: كيف تصبر يا حذيفة عن رؤية نبيك ثلاثة أيام؟.

وذكر ابن سعد في طبقاته الكبرى عن إسحاق بن عبد الله، عن جدته أم سليم رضي الله عنها أنها آمنت برسول الله؛ قالت: فجاء أبو أنس ـ وكان غائبًا ـ فقال: أصَبَوتِ؟ قالت: ما صبوت، ولكن آمنت بهذا الرجل. قالت: فجعلت تلقّن أنسًا وتشير إليه: قل لا إله إلا الله، قل أشهد أن محمدًا رسول الله، ففعل، قال: فيقول لها أبوه: لا تفسدي عليَّ ابني، فتقول: لا أفسده، فلما كبر أتت به النبي وقالت له: هذا أنس غلامك، فقبَّله النبي.

لقد قامت الأم بدورها الريادي في التربية والتوجيه، متمثلاً في شخصيات وسلف هذه الأمة لا تعد حصرًا، إيمان بالله، وحسنُ تربية، ولا تفسدُ على زوجها إصلاحَ بيتها، تطلعه على كل ما من شأنه إصلاح البيت المسلم، بيتها دار الحضانة الأسمى، لا دور الحضانة المنتشرة في آفاق المسلمين، والتي ينبغي ألاَّ تُقبل إلا في الضرورات الملجئة.

§ الجنة تحت أقدام الأمهات:

يقول فضيلة الشيخ عطية صقر رئيس لجنة الفتوى الأسبق بالأزهر: روى ابن ماجه والنسائي والحاكم وصححه أن رجلاً قال: يا رسول الله أردت أن أغزو، فقال له: "هل لك من أم"؟ قال نعم: قال: "فألزمها فإن الجنة تحت رجلها" وعبَّر في بعض الروايات عن هذا بقوله: "الجنة تحت أقدام الأمهات".

وردت النصوص في القرآن والسنة بالأمر ببر الوالدين، وتخصيص الأم، بزيادة في ذلك، فإن برهما من أسباب دخول الجنة، والمراد بعبارة "الجنة تحت أقدام الأمهات" أن خدمة الأم خدمة خالصة، وعدم الأنفة أو التكبر عن أداء هذه الخدمة ـ حتى لو كانت الأم كافرة على ما جاء في قوله تعالى: (وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً) [سورة لقمان: ١٥]؛ من أقوى الأسباب في دخول الجنة وبالأولى لو كانت الأم المؤمنة عاصية لربها بمثل التقصير في الصلاة. وليس المراد أن كل الأمهات يدخلن الجنة حتمًا، ويكن متمكنات منها كما يتمكن الإنسان من الشيء الذي تحت قدمه، فإن شرط دخول الجنة الإيمان، فلا تدخلها الكافرة، كما قال تعالى: (إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء) [سورة النساء: ٤٨] والمؤمنة وإن عصت ربها فقد يغفر الله لها ولا تعذب، وقد تعذب ولكن مصيرها الجنة ما دام في قلبها ذرة من إيمان تمنع الخلود في النار.

وهنا يكون المطلوب أمرين: الأول أن تجتهد الأم لتدخل الجنة، وذلك بالإيمان والعمل الصالح، والثاني أن يجتهد الولد المؤمن ليدخل الجنة بالعمل الصالح، ومنه بر الوالدين وبخاصة الأم، وليجتمع شمل الأسرة في الجنة كما كان في الدنيا، قال تعالى: (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) [سورة الرعد: ٢٣، ٢٤] وقال: (الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ) [سورة الطور: ٢١]

نـافـذة

الأُمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعْدَدْتَهَا

أَعْدَدْتَ شَعْبًا طَيِّبَ الأَعْرَاقِ

الأُمُّ رَوْضٌ إِنْ تَعَهَّدَهُ الحَيَا

بِالــرِّيِّ أَوْرَقَ أَيَّمَـا إِيْـرَاقِ

الأُمُّ أُسْتَاذُ الأَسَاتِذَةِ الأُلَى

شَغَلَتْ مَآثِرُهُمْ مَدَى الآفَاقِ

حافظ إبراهيم

باب بر الوالدين

إطلالة

عن معاذ بن جبل رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(ليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار ،

وليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة)

(أخرجه الحاكم في تاريخه)

اهتم الإسلام ببر الوالدين والإحسان إليهما والعناية بهما، وهو بذلك يسبق النظم المستحدثة في الغرب مثل: (رعاية الشيخوخة، ورعاية الأمومة والمسنين) حيث جاء بأوامر صريحة تلزم المؤمن ببر والديه وطاعتهما، قال تعالى موصيًا عباده: (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا) [الأحقاف:١٥]

وقرن برهما بالأمر بعبادته في كثير من الآيات؛ قال تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [الإسراء:٢٣]، وقوله تعالى: (وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [النساء:٣٦]. وجاء ذكر الإحسان إلى الوالدين بعد توحيده عز وجل لبيان قدرهما وعظم حقهما ووجوب برهما. قال القرطبي رحمه الله في قوله تعالى: (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [الأنعام:١٥١]

أي: (برهما وحفظهما وصيانتهما وامتثال أوامرهما).

§ ما هو بر الوالدين:

بر الوالدين هو الإحسان إليهما، وطاعتهما، وفعل الخيرات لهما، وقد جعل الله للوالدين منزلة عظيمة لا تعدلها منزلة، فجعل برهما والإحسان إليهما والعمل على رضاهما فرض عظيم، وذكره بعد الأمر بعبادته، فقال جلَّ شأنه: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [الإسراء: ٢٣]. وقال تعالى: (وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [النساء: ٣٦]. وقال تعالى:

(وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ) [لقمان: ١٤].

§ أنواع البِّر :

أنواع بر الوالدين كثيرة بحسب الحال وحسب الحاجة ومنها:

١ - فعل الخير وإتمام الصلة وحسن الصحبة، وهو في حق الوالدين من أوجب الواجبات. وقد جاء الإحسان في الآيات السابقة بصيغة التنكير ما يدل على أنه عام يشمل الإحسان في القول والعمل والأخذ والعطاء والأمر والنهي، وهو عام مطلق يدخل تحته ما يرضي الابن وما لا يرضيه إلا أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

٢ - لا ينبغي للابن أن يتضجر منهما ولو بكلمة أف بل يجب الخضوع لأمرهما وخفض الجناح لهما، ومعاملتها باللطف والتوقير وعدم الترفع عليهما.

٣ - عدم رفع الصوت عليهما أو مقاطعتهما في الكلام، وعدم مجادلتهما والكذب عليهما، وعدم إزعاجهما إذا كانا نائمين، وإشعارهما بالذل لهما، وتقديمهما في الكلام والمشي احترامًا لهما وإجلالاً لقدرهما.

٤ - شكرهما الذي جاء مقرونًا بشكر الله والدعاء لهما لقوله تعالى: (وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) [الإسراء:٢٤]. وأن يؤثرهما على رضا نفسه وزوجته وأولاده.

٥ - اختصاص الأم بمزيد من البر لحاجتها وضعفها وسهرها وتعبها في الحمل والولادة والرضاعة. والبر يكون بمعنى حسن الصحبة والعشرة وبمعنى الطاعة والصلة لقوله تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ) [لقمان:١٤]، ولحديث: { إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات } [متفق عليه] الحديث.

٦ - الإحسان إليهما وتقديم أمرهما وطلبهما، ومجاهدة النفس برضاهما حتى وإن كانا غير مسلمين لقوله تعالى: (وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) [لقمان:١٥].

٧ - رعايتهما وخاصة عند الكبر وملاطفتهما وإدخال السرور عليهما وحفظهما من كل سوء. وأن يقدم لهما كل ما يرغبان فيه ويحتاجان إليه.

٨ - الإنفاق عليهما عند الحاجة، قال تعالى: (قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ) [البقرة:٢١٥]، وتعتبر الخالة بمنزلة الأم لحديث: {الخالة بمنزلة الأم} [رواه الترمذي وقال حديث صحيح].

٩ - استئذانهما قبل السفر وأخذ موافقتهما إلا في حج فرض قال القرطبي رحمه الله: (من الإحسان إليهما والبر بهما إذا لم يتعين الجهاد ألا يجاهد إلا بإذنهما).

١٠ - الدعاء لهما بعد موتهما وبر صديقهما وإنفاذ وصيتهما.

§ فضل بر الوالدين:

دلت نصوص شرعية على فضل بر الوالدين وكونه مفتاح الخير منها:

١ - أنه سبب لدخول الجنة: فعن أبي هريرة عن النبي قال: {رغم أنفه، رغم أنفه، رغم أنفه}، قيل: من يا رسول الله؟ قال: {من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة} [رواه مسلم والترمذي].

٢ - كونه من أحب الأعمال إلى الله: عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود قال: سألت النبي أي العمل أحب إلى الله؟ قال: {الصلاة على وقتها}. قلت: ثم أي؟ قال: {بر الوالدين}. قلت: ثم أي؟ قال: {الجهاد في سبيل الله} [متفق عليه].

٣ - إن بر الوالدين مقدم على الجهاد في سبيل الله عز وجل: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: (أقبل رجل إلى النبي فقال أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى، فقال: {هل من والديك أحد حي؟} قال: نعم بل كلاهما. قال: {فتبتغي الأجر من الله تعالى؟} قال: نعم. قال: {فارجع فأحسن صحبتهما}) [متفق عليه] وهذا لفظ مسلم وفي رواية لهما: {جاء رجل فاستأذنه في الجهاد، فقال: أحي والداك؟ قال: نعم. قال: ففيهما فجاهد}.

٤ - رضا الرب في رضا الوالدين: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي قال: {رضا الرب في رضا الوالدين، وسخط الرب في سخط الوالدين} [رواه الترمذي وصححه ابن حبان والحاكم].

٥ - في البر منجاة من مصائب الدنيا بل هو سبب تفريج الكروب وذهاب الهم والحزن كما ورد في شأن نجاة أصحاب الغار، وكان أحدهم بارًا بوالديه يقدمهما على زوجته وأولاده.

§ البر بعد الموت:

وبر الوالدين لا يقتصر على فترة حياتهما بل يمتد إلى ما بعد مماتهما ويتسع ليشمل ذوي الأرحام وأصدقاء الوالدين؛ {جاء رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله. هل بقي من بر أبواي شيء أبرهما بعد موتهما؟ قال: نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما} [رواه أبو داود والبيهقي].

ويمكن الحصول على البر بعد الموت بالدعاء لهما. قال الإمام أحمد: (من دعا لهما في التحيات في الصلوات الخمس فقد برهما. ومن الأفضل: أن يتصدق الصدقة ويحتسب نصف أجرها لوالديه).

§ أحكام شرعية خاصة بالوالدين:

لا حد على الوالدين في قصاص أو قطع أو قذف. وللأب أن يأخذ من مال ولده إذا احتاج بشرط أن لا يجحف به، ولا يأخذ شيئًا تعلقت به حاجته. ولا يأخذ من مال ولده فيعطيه الولد الآخر [المغني:٥٢٢/٦]، وإذا تعارض حق الأب وحق الأم فحق الأم مقدم لحديث: { أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك } [رواه الشيخان]، والمرأة إذا تزوجت فحق زوجها مقدم على حق والديها.

وقال في المقنع: (وليس للابن مطالبة أبيه بدين، ولا قيمة متلف، ولا أرش جناية) قلت: وعلى الوالدين أن لا ينسيا دورهما في إعانة الولد على برهما، وذلك بالرفق به، والإحسان إليه، والتسوية بين الأولاد في المعاملة والعطاء. والله أعلم.

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (دخلت الجنة فسمعت فيها قراءة قلت من هذا؟ فقالوا: حارثة بن النعمان) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كذلكم البر كذلكم البر [وكان أبر الناس بأمه]).

من روائع هذا الدين تمجيده للبر حتى صار يعرف به، فحقًا إن الإسلام دين البر الذي بلغ من شغفه به أن هون على أبنائه كل صعب في سبيل ارتقاء قمته العالية، فصارت في رحابه أجسادهم كأنها في علو من الأرض وقلوبهم معلقة بالسماء، وأعظم البر (بر الوالدين) الذي لو استغرق المؤمن عمره كله في تحصيله لكان

أفضل من جهاد النفل، الأمر الذي أحرج أدعياء القيم والأخلاق في دول الغرب، فجعلوا له يومًا واحدًا في العام يردون فيه بعض الجميل للأبوة المهملة، بعدما أعياهم أن يكون من الفرد منهم بمنزلة الدم والنخاع كما عند المسلم الصادق.

§ وبالوالدين إحسانًا :

قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً) "البقرة ٨٣".

والإحسان نهاية البر، فيدخل فيه جميع ما يحب من الرعاية والعناية، وقد أكد الله الأمر بإكرام الوالدين حتى قرن تعالى الأمر بالإحسان إليهما بعبادته التي هي توحيده والبراءة عن الشرك اهتمامًا به وتعظيمًا له وقال تعالى (وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً) "النساء ٣٦"، فأوصى سبحانه بالإحسان إلى الوالدين إثر تصدير ما يتعلق بحقوق الله عز وجل التي هي أهم الحقوق وأعظمها تنبيهًا على جلالة شأن الوالدين بنظمهما في سلكها بقوله (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً)، وقد كثرت مواقع هذا النظم في التنزيل العزيز، كقوله تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) "الإسراء: ٢٣-٢٤".

قال ذو النون ثلاثة من أعلام البر: بر الوالدين بحسن الطاعة لهما ولين الجناح وبذل المال، وبر الولد بحسن التأديب لهم والدلالة على الخير، وبر جميع الناس بطلاقة الوجه وحسن المعاشرة، وطلبت أم مسعر ليلة من مسعر ماء فقام فجاء بالكوز فصادفها وقد نامت فقام على رجليه بيده الكوز إلى أن أصبحت فسقاها.

وعن محمد ابن المنكدر قال: بت أغمز (المراد بالغمز ما يسمى الآن بالتكبيس) رجلي أمي وبات عمي يصلي ليلته فما سرني ليلته بليلتي، ورأى أبو هريرة رجلاً يمشي خلف رجل فقال من هذا؟ قال أبي، قال: لا تدعه باسمه ولا تجلس قبله ولا تمش أمامه.

§ ووصينا الإنسان بوالديه:

قال تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) "العنكبوت ٨". قيل نزلت في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كما روى الترمذي: قال سعد أنزلت فيْ أربع آيات فذكر قصة: وقالت أم سعد أليس قد أمر الله بالبر، والله لا أطعم طعامًا ولا أشرب شرابًا حتى أموت أو تكفر، قال فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاها فنزلت هذه الآية (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي ...).

وقال جل ذكره: (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ) "الأحقاف ١٥-١٦".

وقال أيضًا: (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ *وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) "لقمان ١٤- ١٥".

§ كذلكم البر كذلكم البر :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال: (الصلاة على وقتها) قلتُ: ثم أي؟ قال: (بر الوالدين) قلتُ ثم أي؟ قال: (الجهاد في سبيل الله).

ومن البر بهما والإحسان إليهما ألا يتعرض لسبهما ولا يعقهما؛ فإن ذلك من الكبائر بلا خلاف، وبذلك وردت السنة الثابتة؛ فعن عمرو

بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من الكبائر شتم الرجل والديه) قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال (نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه).
وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم (رضا الرب في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما) أي غضبهما الذي لا يخالف القوانين الشرعية كما تقرر. فإن قيل: ما وجه تعلق رضى الله عنه برضى الوالد؟ قلنا: الجزاء من جنس العمل، فلما أرضى من أمر الله بإرضائه رضي الله عنه، فهو من قبيل لا يشكر الله من لا يشكر الناس.

قال الغزالي: وآداب الولد مع والده: أن يسمع كلامه، ويقوم بقيامه، ويمتثل أمره، ولا يمشي أمامه، ولا يرفع صوته، ويلبي دعوته، ويحرص على طلب مرضاته، ويخفض له جناحه بالصبر، ولا يمن البر له، ولا بالقيام بأمره، ولا ينظر إليه شزرًا، ولا يقطب وجهه في وجهه.
كان إسماعيل -عليه السلام- غلامًا صغيرًا، يحب والديه ويطيعهما ويبرهما، وفي يوم من الأيام جاءه أبوه إبراهيم -عليه السلام- وطلب منه طلبًا عجيبًا وصعبًا؛ حيث قال له: (يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى) "الصافات: ١٠٢" فرد عليه إسماعيل في ثقة المؤمن برحمة الله، الراضي بقضائه: (قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) "الصافات: ١٠٢"

وهكذا كان إسماعيل بارًّا بأبيه، مطيعًا له فيما أمره الله به، فلما أمسك إبراهيم عليه السلام السكين وأراد أن يذبح ولده كما أمره الله جاء الفرج من الله سبحانه فأنزل ملكًا من السماء ومعه كبش عظيم فداءً لإسماعيل، قال تعالى: (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) "الصافات: ١٠٧".

يحكي لنا النبي صلى الله عليه وسلم قصة ثلاثة رجال اضطروا إلى أن يبيتوا ليلتهم في غارٍ، فانحدرت صخرة من الجبل؛ فسدت عليهم باب الغار، فأخذ كل واحد منهم يدعو الله ويتوسل إليه بأحسن الأعمال التي عملها في الدنيا؛ حتى يُفرِّج الله عنهم ما هم فيه، فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت أحضر لهما اللبن كل ليلة ليشربا قبل أن يشرب أحد من أولادي، وتأخرت عنهما ذات ليلة، فوجدتُهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما أو أعطي أحدًا من أولادي قبلهما، فظللت واقفًا -وقدح اللبن في يدي- أنتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر، وأولادي يبكون من شدة الجوع عند قدمي حتى استيقظ والدي وشربا اللبن، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك ففرِّج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، وخرج الثلاثة من الغار. [القصة مأخوذة من حديث متفق عليه].

§ أهمية احترام الوالدين:

- أولاً: أنها طاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم:

قال تعالى: (وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا)، وقال تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا).

وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل قال إيمان بالله ورسوله ثم بر الوالدين.. الحديث. وغيرها من الآيات والأحاديث المتواترة في ذلك.

- ثانيًا: إن طاعة الوالدين واحترامهما سبب لدخول الجنة:

عن أبي هريرة عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ قِيلَ مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلْ الْجَنَّةَ. "صحيح مسلم ٤٦٢٧".

- ثالثًا: أن احترامهما وطاعتهما سبب للألفة والمحبة.

- رابعًا: أن احترامهما وطاعتهما شكر لهما:

لأنهما سبب وجودك في هذه الدنيا، وأيضًا شكر لها على تربيتك ورعايتك في صغرك، قال الله تعالى: (أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ...).

- خامسًا: أن بر الولد لوالديه سببُ لأن يبره أولاده، قال الله تعالى: (هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ). والله أعلم.

§ الوالدان المشركان:

كان سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - باراً بأمه، فلما أسلم قالت له أمه: يا سعد، ما هذا الذي أراك؟ لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتُعَير بي، فيقال: يا قاتل أمه. قال سعد: يا أماه، لا تفعلي، فإني لا أدع ديني هذا لشيء. ومكثت أم سعد يومًا وليلة لا تأكل ولا تشرب حتى اشتد بها الجوع، فقال لها سعد: تعلمين - والله - لو كان لك مائة نَفْس فخرجت نَفْسًا نَفْسًا ما تركتُ ديني هذا لشيء، فإن شئتِ فكُلِي، وإن شئتِ فلا تأكلي. فلما رأت إصراره على التمسك بالإسلام أكلت. ونزل يؤيده قول الله تعالى: (وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً) [لقمان: ١٥].

وهكذا يأمرنا الإسلام بالبر بالوالدين حتى وإن كانا مشركين.

وتقول السيدة أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها -: قدمت على أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستفتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: إن أمي قدِمَتْ وهي راغبة (أي طامعة فيما عندي من بر)، أفأصِلُ أمي؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (نعم، صلي أمَّكِ) [متفق عليه].

نـافـذة

العَيْشُ مَاضٍ فَأَكْرِمْ وَالِدَيْكَ بِهِ
والأُمُّ أَوْلَى بِإِكْرَامٍ وَإِحْسَانِ
وَحَسْبُهَا الحَمْلُ وَالإِرْضَاعُ تُدْمِنُهُ
أَمْرَانِ بِالفَضْلِ تَالاَ كُلَّ إِنْسَانِ

أبو العلاء المعري

بـاب العقـوق

إطلالـة

قال النبي - صلى الله عليه وسلم -:

(ألا أخبركم بأكبر الكبائر ؟). قالوا بلى يا رسول الله.

قال: (الإشراك بالله، وعقوق الوالدين).

[رواه البخاري]

§ التحذير من العقوق:

وعكس البر العقوق، ونتيجته وخيمة لحديث أبي محمد جبير بن مطعم أن رسول الله قال: {لا يدخل الجنة قاطع}. قال سفيان في روايته: (يعني قاطع رحم) [رواه البخاري ومسلم].

والعقوق: هو العق والقطع، وهو من الكبائر بل كما وصفه الرسول من أكبر الكبائر وفي الحديث المتفق عليه: {ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين. وكان متكئًا وجلس فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يرددها حتى قلنا ليته سكت}.

والعق لغة: هو المخالفة، وضابطه عند العلماء أن يفعل مع والديه ما يتأذيان منه تأذيًا ليس بالهيّن عُرفًا.

وفي المحلى لابن حزم وشرح مسلم للنووي: (اتفق أهل العلم على أن بر الوالدين فرض، وعلى أن عقوقهما من الكبائر، وذلك بالإجماع).

وعن أبي بكرة عن النبي قال: {كل الذنوب يؤخر الله تعالى ما شاء منها إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين، فإن الله يعجله لصاحبه في الحياة قبل الموت}[رواه الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك وصححاه].

§ عقوق الوالدين:

يقول الشاعر :

غَذَوْتُكَ مَوْلُودًا وَعُلْتُكَ يَافِعًا ... تُعَلُّ بما أجْنِي عَلَيْكَ وَتَنْهَلُ

إذَا لَيْلَةٌ نَابَتْكَ بالشَّجْوِ لَمْ أبِتْ ... لِشَكْوَاكَ إلاَّ سَاهِرًا أتَمَلْمَلُ

كَأنِّي أنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بالَّذِي ... طُرِقْتَ به دُونِي فَعَيْنِيَ تَهْمُلُ

تَخَافُ الرَّدى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإنَّنِي ... لأعْلَمُ أنَّ الْمَوتَ حَتْمٌ مُؤَجَّلُ

فَلَمَّا بلَغْتَ السِّنَّ والغَايَةَ التِي ... إلَيْها مَدَى ما كُنتُ فِيكَ أوَمِّلُ

جَعَلْتَ جَزَائِي غِلْظَةً وَفَظَاظَةً ... كَأنَّك أنْتَ الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُ

فَلَيْتَكَ إذْ لَمْ تَرْعَ حَقَّ أبُوَّتِي ... فَعَلْتَ كَمَا الْجَارُ الْمُجَاورُ يَفْعَلُ

أوصى الإسلام بالآباء خيرًا ونهى عن قطيعتهم وإيذائهم أو إدخال الحزن عليهم، كيف لا، والإسلام دين الوفاء والبرِّ. وقد تكلمنا في مقال سابق عن فضل بر الوالدين والإحسان إليهما، وفي هذا المقال نتكلم عن عقوق الوالدين، تلكم الكبيرة العظيمة التي نهى عنها الشرع وحذر منها أشد التحذير.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين.." الحديث. [رواه البخاري]

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله عز وجل حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات..." الحديث.

فالعقوق محرم قطعًا مذموم شرعًا وعقلاً.. فما معنى العقوق؟
يقول العلامة ابن حجر رحمه الله: العقوق أن يحصل لهما أو لأحدهما أذىً ليس بالهيِّن عُرفًا.. يكون هذا الإيذاء بفعل أو بقول أو إشارة، ومن مظاهره مخالفة أمر الوالدين أو أحدهما في غير معصية، أو ارتكاب ما نهيا عنه ما لم يكن طاعة، أو سبهما وضربها، ومنعهما ما يحتاجانه مع القدرة... وغير ذلك.

وقد اتفق أهل العلم على عدِّ العقوق كبيرة من الكبائر. يقول الله عز وجل: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا) [الإسراء:٢٣]. فانظر كيف نهى عن الإيذاء بالفعل أو بالقول حتى ولو كان كلمة "أفٍ" التي تدل على الضجر.

إن عقوق الوالدين الذي ظهر وانتشر وتعددت أشكاله وألوانه ليدل على انحراف خطير في المجتمعات عن شريعة الله تعالى، التي جعلت رضا الله في رضا الوالدين وسخطه سبحانه في سخطهما، كما في الحديث: "رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد". والتي جعلت الجنة تحت أقدام الأمهات فلن يدخل الجنة عاقٌ

لوالديه، ففي الحديث: "ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه والمرأة المترجلة، والديوث. وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمنان بما أعطى".

كما إن العاق لوالديه يُعرِّض نفسه لدعاء والديه عليه، ودعاؤهما مستجاب فقد ورد في الحديث: "ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهنَّ: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده".

ومن صور العقوق أن يتسبب الولد في سب ولعن أبويه أو أحدهما؛ فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه". قيل: يا رسول الله! وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: "يسُبُّ الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه".

ومن كان هذا حاله فإنه يعرض نفسه للعنة الله تعالى، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لعن الله من لعن والده.." الحديث.

كما إنه متوعد بعقوق أولاده له؛ فكل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين، فإنه يعجل لصاحبه في الحياة قبل الممات.

قال الأصمعي: حدثني رجل من الأعراب قال: خرجت من الحي أطلب أعقَّ الناس، وأبرَّ الناس، فكنت أطوف بالأحياء حتى انتهيت إلى شيخ في عنقه حبل يستقي بدلو لا تطيقه الإبل في الهاجرة والحرِّ الشديد، وخلفه شاب في يده رشاء (أي حبل) ملوي يضربه به، قد شق ظهره بذلك الحبل، فقلت: أما تتقي الله في هذا الشيخ الضعيف؟ أما يكفيه ما هو فيه من هذا الحبل حتى تضربه؟ قال: إنه مع هذا أبي. فقلت: فلا جزاك الله خيرًا. قال: اسكت فهكذا كان هو يصنع بأبيه، وهكذا كان يصنع. فانظر كيف قيض الله لهذا الوالد العاق من أبنائه مَن يعقه! والجزاء من جنس العمل: (وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ) [فصلت:٤٦].

ومن صور العقوق منع الأبناء النفقة على الآباء، رغم حاجة الآباء وقدرة الأبناء والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "أنت ومالك لأبيك" نسأل الله الكريم بمنه أن يرزقنا وإياكم البر، وأن يجنبنا العقوق والآثام.. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

§ لا .. للعقوق:

ألا فليتق الأولاد الله، وليقدِّروا للأم حقَّها وبرَّها، ولينتهين أقوام عن عقوق أمهاتهم قبل أن تحل بهم عقوبة الله وقارعته، ففي الصحيحين يقول النبي: (إن الله حرَّم عليكم عقوق الأمهات).

وعند أحمد وابن ماجة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله يوصيكم في أمهاتكم) قالها ثلاثًا.

وعند الترمذي في جامعه عن النبي قال: (إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حلَّ بها البلاء.. وذكر منها: وأطاع الرجل زوجته وعقَّ أمه).

§ ولا بطلقة واحدة:

ألا لا يعجبنَّ أحدٌ ببره بأمه، أو يتعاظم ما يسديه لها، فبرُّها طريق إلى الجنة.

جاء عند البيهقي في شعب الإيمان، والبخاري في الأدب المفرد: (أن أبا بردة بن أبي موسى الأشعري حدَّث: أنه شهد ابن عمر رجلاً يمانيًا يطوف بالبيت، حمل أمه وراء ظهره يقول:

إني لها بعيرها المذلَّل إن أذعرت ركابها لم أذعر

الله ربي ذو الجلال الأكبر، حملتها أكثر مما حملتني، فهل ترى جازيتها يا ابن عمر؟ قال ابن عمر: لا، ولا بزفرة واحدة!).

§ ليس هكذا تكرم الأم:

ألا فاتقوا الله معاشر المسلمين، واعلموا أنه ينبغي التنبيه إلى مكانة الأم. وواجب الأولاد والمجتمع تجاهها لا يعني خرق حدود الشريعة أو تجاوزها، إذ تلك حدود الله فلا تعتدوها، فالأم لا تُطاع في معصية الله، ولا يُقدَّم قولها على قول الله ورسوله، ولا ينبغي أن يُتشبَّه بأهل الكفر في طقوسهم ومراسيمهم مع الأم، والتي هي ليست من

نهج الإسلام في شيء، حيث يعملون لها يومًا في السنة هو يوم البر بها، يقدمون لها فيه شيئًا من الزهور أو الطيب ونحو ذلك، يسمونه عيد الأم، وهذا من البدع المنكرة التي يكتنفها آفتان:

أولاهما: تقليد أهل الكفر: ورسول الله نهانا عن التشبه بهم، وأمرنا بمخالفتهم، ومن أبى فقد قال عنه: (ومن تشبه بقوم فهو منهم)، حتى لقد قال اليهود عنه: ما يريد هذا الرجل أن يدع شيئًا من أمرنا إلا خالفنا فيه [رواه مسلم].

وثاني الأمرين: هو إحداث عيد واحتفال لايُعرف في أعياد المسلمين: وما للمسلمين إلا عيدان: عيد فطر، وعيد أضحى، وما عدا ذلك من أعياد للأم واحتفالات أو أعياد للميلاد أو للبلوغ أو للكهولة أو للشيخوخة، كل ذلك مما أحدث في الدين، وحرَّمه علماء الملة. فكل احتفال أو عيد لم يدل الشرع عليه فهو بدعة محدثة، ورضي الله عن ابن عباس حين قال: (ما أتى على الناس حتى أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سُنَّة، حتى تحيا البدع وتموت السنن).

§ التحذير من عقوق الوالدين وقطيعة الرحم:

من الظواهر السيئة ما نراه هذه الأيام من كثير من الأبناء من العقوق للوالدين، وما نشاهده بين الأقارب من القطيعة..

وفيما يلي كلمات سريعة في التحذير من عقوق الوالدين والحث على برِّهما، والتحذير من قطيعة الرحم وبيان الآداب التي ينبغي أن تراعى مع الأقارب، نسأل الله أن ينفع بها.

أولاً: التحذير من عقوق الوالدين والحث على برهما:

- من صور العقوق:

١- إبكاء الوالدين وتحزينهما بالقول أو الفعل.
٢- نهرهما وزجرهما، ورفع الصوت عليهما.
٣- التأفف من أوامرهما.
٤- العبوس وتقطيب الجبين أمامهما، والنظر إليهما شزرًا.
٥- الأمر عليهما.
٦- انتقاد الطعام الذي تعده الوالدة.
٧- ترك الإصغاء لحديثهما.
٨- ذم الوالدين أمام الناس.
٩- شتمهما.
١٠- إثارة المشكلات أمامهما إما مع الأخوة، أو مع الزوجة.
١١- تشويه سمعتهما.
١٢- إدخال المنكرات للمنزل، أو مزاولة المنكرات أمامهما.

١٣- المكوث طويلاً خارج المنزل، مع حاجة الوالدين وعدم إذنهما للولد في الخروج.

١٤- تقديم طاعة الزوجة عليهما.

١٥- التعدي عليهما بالضرب.

١٦- إيداعهم دور العجزة.

١٧- تمني زوالهما.

١٨- قتلهما عياذًا بالله.

١٩- البخل عليهما والمنة، وتعداد الأيادي.

٢٠- كثرة الشكوى والأنين أمام الوالدين.

- الآداب التي ينبغي مراعاتها مع الوالدين:

١- طاعتهما بالمعروف، والإحسان إليهما، وخفض الجناح لهما.

٢- الفرح بأوامرهما ومقابلتهما بالبشر والترحاب.

٣- مبادأتهما بالسلام وتقبيل أيديهما ورؤسهما.

٤- التوسعة لهما في المجلس والجلوس، أمامهما بأدب واحترام، وذلك بتعديل الجلسة، والبُعد عن القهقهة أمامهما، والتعري، أو الاضطجاع، أو مد الرجل، أو مزاولة المنكرات أمامهما، إلى غير ذلك مما ينافي كمال الأدب معهما.

٥- مساعدتهما في الأعمال.

٦- تلبية ندائهما بسرعة.

٧- البعد عن إزعاجهما، وتجنب الشجار وإثارة الجدل بحضرتهما.

٨- أن يمشي أمامها بالليل وخلفهما بالنهار.

٩- ألا يمدَّ يدَه للطعام قبلهما.

١٠- إصلاح ذات البين إذا فسدت بين الوالدين.

١١- الاستئذان عليهما حال الدخول عليهما، أو حال الخروج من المنزل.

١٢- تذكيرهما بالله، وتعليمهما ما يجهلانه، وأمرهما بالمعروف، ونهيهما عن المنكر مع مراعاة اللطف والإشفاق والصبر.

١٣- المحافظة على سمعتهما وذلك بحسن السيرة، والاستقامة، والبعد عن مواطن الريب وصحبة السوء.

١٤- تجنب لومهما وتقريعهما والتعنيف عليهما.

١٥- العمل على ما يسرهما وإن لم يأمرا به.

١٦- فهم طبيعة الوالدين، ومعاملتهما بذلك المقتضى.

١٧- كثرة الدعاء والاستغفار لهما في الحياة وبعد الممات.

- الأمور المعينة على البر :

١- الاستعانة بالله.

٢- استحضار فضائل البر، وعواقب العقوق.

٣- استحضار فضل الوالدين.

٤- الحرص على التوفيق بين الوالدين والزوجة.

٥- تقوى الله في حالة الطلاق، وذلك بأن يوصي كل واحد من الوالدين أبناءه ببر الآخر، حتى يبروا الجميع.

٦- قراءة سيرة البارين بوالديهم.

٧- أن يضع الولد نفسه موضع الوالدين.

ثانيًا: قطيعة الرحم: أسبابها / علاجها:

* الرحم هم القرابة، وقطيعة الرحم هجرهم، وقطعهم. والصلة ضد القطيعة، وهي كناية عن الإحسان إلى الأقارب، والرفق بهم، والرعاية لأحوالهم.

- أسباب قطيعة الرحم:

١- الجهل.

٢- ضعف التقوى.

٣- الكبر.

٤- الانقطاع الطويل الذي يسبب الوحشة والنسيان.

٥- العتاب الشديد من بعض الأقارب مما يسبب النفرة منه.

٦- التكلف الزائد، مما يجعل الأقارب لا يحرصون على المجيء إلى ذلك الشخص، حتى لا يقع في الحرج.

٧- قلة الاهتمام بالزائرين من الأقارب.

٨- الشح والبخل من بعض الناس، ممن وسع الله عليه في الدنيا، فتجده لا يواصل أقاربه، حتى لا يخسر بسببهم شيئًا من المال، إما بالاستدانة منه أو غير ذلك.

٩- تأخير قسمة الميراث بين الأقارب.

١٠- الشراكة المبنية على المجاملة بين الأقارب.

١١- الاشتغال بالدنيا.

١٢- الطلاق بين الأقارب.

١٣- بُعْد المسافة والتكاسل عن الزيارة.

١٤- قلة تحمل الأقارب.

١٥- الحسد فيما بينهم.

١٦- نسيانهم في الولائم، مما يسبب سوء الظن فيما بينهم.

١٧- كثرة المزاح.

١٨- الوشاية والإصغاء إليها.

- فضائل صلة الرحم:

١- صلة الرحم شعار الإيمان بالله، واليوم الآخر.

٢- سبب لزيادة العمر، وبسط الرزق.

٣- تجلب صلة الله للواصل.

٤- هي من أعظم أسباب دخول الجنة.

٥- هي من محاسن الإسلام.

٦- وهي مما اتفقت عليه الشرائع.

٧- هي دليل على كرم النفس، وسعة الأفق.

٨- وهي سبب لشيوع المحبة، والترابط بين الأقارب.

٩- وهي ترفع من قيمة الواصل.

١٠- صلة الرحم تعمر الديار.

١١- وتيسر الحساب.

١٢- وتكفر الذنوب والخطايا.

١٣- وتدفع ميتة السوء.

- الآداب والأمور التي ينبغي سلوكها مع الأقارب:

١- استحضار فضل الصلة، وقبح القطيعة.

٢- الاستعانة بالله على الصلة.

٣- توطين النفس وتدريبها على الصبر على الأقارب والحلم عليهم.

٤- قبول أعذارهم إذا أخطأوا واعتذروا.

٥- الصفح عنهم ونسيان معايبهم ولو لم يعتذروا.

٦- التواضع ولين الجانب لهم.

٧- بذل المستطاع لهم من الخدمة بالنفس والجاه والمال.

٨- ترك المنة عليهم، والبعد عن مطالبتهم بالمثل.

٩- الرضا بالقليل منهم.

١٠- مراعاة أحوالهم، ومعرفة طبائعهم، ومعاملتهم بمقتضى ذلك.

١١- إنزالهم منازلهم.

١٢- ترك التكلف معهم، ورفع الحرج عنهم.

١٣- تجنب الشدة في معاتبتهم إذا أبطأوا.

١٤- تحمل عتابهم إذا عاتبوا، وحمله على أحسن المحامل.

١٥- الاعتدال في المزاح معهم.

١٦- تجنب الخصام، وكثرة الإلحاح والجدال العقيم معهم.

١٧- المبادرة بالهدية إن حدث خلاف معهم.

١٨- أن يتذكر الإنسان أن الأقارب لحمة منه لابد له منهم، ولا فكاك له عنهم.

١٩- أن يعلم أن معاداتهم شرٌّ وبلاء، فالرابح في معاداة أقاربه خاسر، والمنتصر مهزوم.

٢٠- الحرص على ألا ينسى أحدًا منهم في الولائم قدر المستطاع.

٢١- الحرص على إصلاح ذات البين إذا فسدت.

٢٢- تعجيل قسمة الميراث.

٢٣- الاجتماعات الدورية.

٢٤- تكوين صندوق للأسرة.

٢٥- الحرص على الوئام والاتفاق حال الشراكة.

٢٦- يراعي في ذلك أن تكون الصلة لله وحده، وأن تكون تعاونًا على البر والتقوى، ولا يقصد بها حمية الجاهلية الأولى.

نـافـذة

وَاخْضَعْ لأُمِّكَ وأرضها

فَعُقُوقُها إِحْدَى الكِبَرْ

الإمام الشافعي

بـاب الأبنـاء بين طاعـة الوالدين والإحسـان إليهما

إطلالـة

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إن الله تعالى يزيد في عمر الرجل ببرِّه والديه))

(أخرجه ابن حجر)

§ أسباب الطاعة:

في المنظور التربوي الإسلامي، يأتي التركيز أولاً على تربية ملكة الإحسان للوالدين في ذهن الطفل ونفسيَّته، ومن ثم تأتي الدعوة إلى إرضاء الوالدين أو إطاعتهما في سياق الالتزام الكلي بقيمة الإحسان، بما يمثّله من عملية رسالية تربوية تمثّل انفعال الإنسان بما يقدمه الآخر إليه من رعاية وحماية واحتضان وخدمة وتضحية وإحسان. وهذا ما عبَّرت عنه الآية الكريمة: (هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) "الرحمن: ٦٠"، فالإحسان مسألة إنسانية تفرض على كل فرد انطلاقًا من إحساسه الإنساني، أن يستشعر إنسانية الآخر في نفسه. لذلك ينبغي لنا دائمًا أن نؤكد في عقل الطفل وفي قلبه، القيمة التي يمثلها الأب والأم في حياته، باعتبار أنهما أساس وجوده، وباعتبار أنهما القيّمان على رعايته واحتضانه بكل ما يتضمن ذلك من أنهما يسهران لينام، ويجوعان ليشبع، ويتعبان ليرتاح، تضحيةً من أجله، إضافةً إلى كل مفردات الإحسان الأبوي أو الأمومي. وهذا ما عالجه القرآن بطريقة تستثير شعور الابن الإنساني في علاقته بأبويه، حيث يقول تعالى: (...إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا) (الإسراء: ٢٣)

ليكن ردُّ فعلك حيال ضيقك منهما إذا ما أزعجاك كردِّ فعلهما حيال تنغيصك المستمر لحياتهما في أوائل حياتك، عندما كانا يقابلان

صراخك في وجههما بالقبلات... (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) "الإسراء:٢٤".

إن هذه الفقرة توحي بأن العلاقة بالأب والأم تقع في دائرة أرفع وأسمى من العلاقات الإنسانية العادية، فهي لا تستدعي منه الثأر لكرامته في حال تعرضه للأذية النفسية، لذا على الابن أن يمارس حيال والديه الذل العملي دون أن يشعر بامتهان كرامته، تمامًا كما كان الأبوان أنفسهما يذلان نفسيهما أمامه عندما كان في صغره يضربهما أو يدفعهما أو ما أشبه ذلك، هذا النمط من الذل هو ذل الرحمة (وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) "الإسراء:٢٤".

لذا على المُربِّي أن يُنمّي في نفس الطفل حالة الإحسان إلى والديه كردٍّ فعل لإحسانهما، وذلك باستحضار كلِّ تاريخ حياته معهما، وتاريخ رعايتهما له. هكذا يدخل إرضاء الوالدين بوصفه نوعًا من أنواع الإحسان، وهذه تتمثّل بأن يكبت الابن رغباته، ويستغنى عن بعض حاجاته من أجل إشباع رغبات الأبوين، أو من أجل تلبية حاجاتهما، ولكن هذه الطاعة المستحبة للوالدين، وهذا الرضى المرغوب فيه، ليس أمرًا مطلوبًا في جميع الأحوال، بل في حدود، بحيث لا يكون فيه معصية لله، ولا يكون فيه تدمير لحياة الابن وشخصيته، ولا يكون فيه إساءة إلى الأبوين من ناحية أخرى، وأن لا يكون فيه ضغط عليه أكثر مما لا يتناسب مع مصلحته.

§ الابن ليس صورة لوالديه:

إن البر بالوالدين ليس عملية إلغاء لشخصية الولد أو إلغاء لمصالحه، وتحويل شخصيته إلى صدى لشخصية الوالدين، واعتبار نفسه ظلاً لهما، لأنه لا يجوز أن يُربَّى الولد على أن يكون صورة منسوخة عن والده، أو أن تكون البنت صورة منسوخة عن أمها. بل لا بدّ من أن نُعين الولد على اختيار صورته بالاستفادة من بعض ملامح الصورة الوالدية أو الأمومية بما يخدم حياته، لكن يجب أن يصنع الولد صورته بنفسه، مستعينًا بما يرتاح إليه أو يقتنع به من صور الآخرين، أو ما يقتنع به في نفسه.

لذلك، لا بدَّ من أن نرصد جانبين في علاقة الأولاد بالأهل وطاعتهم؛ جانب إيجابي، وهو أن رضا الوالدين يُعطي طابعًا حميمًا لعلاقة الأولاد مع الأهل، ويدعم تماسك الأسرة، حيث تبدو الأسرة كخلية يقودها ويحضنها شخص، ويتحرك في إطار هذه القيادة والحضانة الأولاد. ومن هنا، فإن عمل أفراد الأسرة الواحدة على إرضاء بعضهم البعض، يقوي الروابط العاطفية ويبسط العلاقات الأسرية، ويجعلها أكثر راحة وسلامة.

أما الجانب السلبي من رضا الوالدين، فإنه يتمثل في خضوع الولد التام لوالديه، ما يمنعه من تنمية شخصيته المستقلة واختيار طريقة حياة وطريقة تفكير خاصة به، بحيث يصبح مجرد صدى للآخر، وهو مفعول سلبي جدًا لمفهوم الرضا.

لذلك، لا بدّ من أن نجرد هذا المفهوم من معنى الانسحاق أمام الآخر خوفًا من غضبه، بل لا بد لنا من أن نستبدل مفهوم الرضا الذي ينفي شخصية الفرد ويجعل كل حياته مكرسة لإرضاء الغير بمفهوم الإحسان، حيث تكون العلاقة مع الآخر قائمة على الإحساس بإنسانيته، وبما قدمه هذا الآخر من عناصر ساهمت في تنشئة الطفل وتحويله إلى إنسان قادر على الاستقلال بحياته.

فالمجتمع الذي يُربي أفراده منذ الطفولة على أن يكون إرضاء الآخر قيمةً عليا لديهم، سوف يتحرك سياسيًا واجتماعيًا وسلوكيًا تحت تأثير الآخر، لأن إرضاء الآخر والخوف من إزعاجه وإهماله هو عقدة تجعل الآخر كل شيء بالنسبة إليه، بحيث يجتاح عقله وقلبه وكل حياته، فلا يعلن عن رغبة ضد رغبته، ولا يختار فكرًا ضد فكره، ولا يتحرك أية حركة ضد حركته، لأن ذلك يُغضب الآخر ولا يرضيه.

§ الإحسان إلى الوالدين وعقدة إرضاء الآخر :

لذا، فإن عقدة إرضاء الآخر تُشكل حاجزًا يعرقل نموَّ الطفل، ويُعيق تطور شخصية الشاب الذي تتركز في داخله هذه القيمة الخضوعية وتستمر معه طوال الحياة، ولعل خضوع بعض الشعوب للأقوياء، سواء كانوا من داخل مجتمعهم أو خارجه، يعود إلى هذه التربية على الطاعة وعدم إزعاج الآخر.

ومن نافل القول، الإشارة إلى أن التوجيه الإسلامي لاحظ هذه المسألة في بعض الدوائر الاجتماعية التي يحاول فيها البعض إرضاء الآخرين بتقديم التنازلات لهم، جاء في القرآن الكريم: (وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) "البقرة: ١٢٠"، إذا كان هاجسك أن يرضى عنك اليهود والنصارى، وهما نموذجان يمكن أن نوسع دلالاتهما إلى ما يتجاوز هاتين الدائرتين، فإن الآخرين لا يرضون عنك إلاّ إذا ألغيت فكرك وإرادتك أمام فكرهم وإرادتهم، بمعنى أن تلغي نفسك. وكأنه يقول: لا تلغ نفسك إن كنت تؤمن بما يتنافى مع ما يؤمن به الآخرون، فلن يرضى الآخرون إذا ما كانوا يلتزمون فكرًا أو خطًا مختلفًا إلاّ عمّن يلتزم هذا الفكر وهذا الخط كاملاً.

لذلك، علينا أن لا نخلط المفاهيم بطريقة قد تسيء إلى الطفل والتربية، فعندما نتحدث عن إرضاء الوالدين، فإن ذلك قد يمتد ليأخذ شكل القيمة الدينية المقدسة، الأمر الذي قد يؤدي إلى نوع من الضّغط النفسي الشديد على الولد، عندما يفرض الوالدان عليه فعلاً ليس في مصلحته. إن أكثر الاتجاهات شيوعًا لدى الآباء والأمهات في تربية أولادهم، هو رغبة الأهل في جعل أولادهم صورةً عنهم، وسعيهم إلى فرض رغباتهم وأفكارهم الخاصة على الأبناء. كما هو الحال في مجتمعنا التقليدي، حيث يفرض الأب أو الأم على الولد أو البنت زوجةً معينة أو زوجًا معينًا، إما من خلال التركيز على شخص معين أو على مواصفات معينة.

أو كما هي حال الأب الذي يريد أن يكون ابنه امتدادًا له في عمله أو وظيفته أو ما إلى ذلك. لذلك إذا قلنا إن رضا الوالدين بذاته مطلوب في التربية، فإن الولد عند ذلك قد يتخيل أن الله يغضب عليه إذا لم يستجب لرغبة أمه أو أبيه، فيشعر آنذاك أنه يعيش دمارًا في حياته بأسرها. لذا نقول إن علينا كمربين، عندما نريد غرس قيمة معينة في نفس الولد، ولاسيما إذا كان لهذه القيمة عنوان الفرض الديني، الذي يشعر معه الإنسان بأن الانحراف عنه يغضب الله، لا بدّ من أن نحدّد هذه القيمة بدقة، والقرآن الكريم يعطي لهذه القيمة معنى حدده بالإحسان إلى الوالدين.

أما خضوع الولد للوالدين، فأمر يتوقف على أسلوبهما في التأثير على نفسية الولد، ونحن لا ننصحهما بأن يعملا على التأثير في نفسية الولد بالمستوى الذي يصادر شخصيته.

نـافـذة

أَحِنُّ إِلَى الكَأْسِ الَّتِي شَرِبَتْ بِهَا

وأَهْوَى لِمَثْوَاهَا التُّرَابَ وَمَا ضَمَّا

المتنبي

حقوق الأبوين

في القرآن الكريم والسنة النبوية

إطلالة

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(ما مِن رجلٍ ينظر إلى وجهِ والديهِ نظرة رحمة

إلا كتب له بها حجةٌ مقبولةٌ مبرورةٌ)

(أخرجه الهندي)

أولى الإسلام عناية خاصة للأسرة وللمحافظة عليها من خلال تحديده للحقوق المترتِّبة على أفرادها تجاه بعضهم البعض، وذلك كي تُصان الأسرة بصفتها اللبنة الأساسية في بناء المجتمع الذي ينشده الإسلام. ولما كان الوالدان هما حجري الأساس في بناء الأسرة وتنشئة الجيل، نجد القرآن الكريم يصرح بعِظَم مكانتهما، ووجوب الإحسان إليهما.

وفيما يأتي بيان لحقوق الوالدين في القرآن الكريم والسنة النبوية:

§ أولاً : حقوق الوالدين في القرآن الكريم

قرن تعالى وجوب التعبد له بوجوب البر بالوالدين في العديد من الآيات الكريمة، منها قوله تعالى: (وَقضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) الإسراء: ٢٣.
وقوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) البقرة: ٨٣.

وهكذا نجد أن الله تعالى يعتبر الإحسان إلى الوالدين قضية جوهرية فهي من الأهمية بمكان، بحيث يبرزها -تارة- في عالم الاعتبار بصيغة القضاء: (وَقضَى رَبُّكَ) الإسراء: ٢٣. ويجسدها -تارة أخرى- في عالم الامتثال بصيغة الميثاق: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) البقرة: ٨٣.

ويعتبر التعدي على حرمتهما حرامًا، وهنا لابُدَّ من التنبيه على أن القرآن الكريم وفي العديد من آياته يؤكد على الأولاد بضرورة الإحسان إلى الآباء، أما الآباء فلا يؤكد عليهم الاهتمام بأبنائهم إلا نادرًا، وفي حالات غير عادية، كأن لا يقتلوا أولادهم خشية الإملاق. فيكتفي بالتأكيد على أن الأولاد زينة ومتعة، وموضع فتنة وإغراء للوالدين، ولم يذكرهم إلا مقرونين بالمال، وفي موضع التفاخر.

وبنظرة أعمق جعل الإحسان إلى الوالدين المظهر الاجتماعي للعبادة الحقة، وكل تفكيك بين العبادة ومظهرها الاجتماعي، بالإساءة إلى الوالدين على وجه الخصوص، ولو بكلمة (أفٍّ)، يعني إفسادًا للعبادة كما تُفسد قطرة الخل العسل.

§ للأمِّ حَقٌّ أكبر:

منح القرآن الأم حقًا أكبر، وذلك لما تقدمه من تضحيات أكثر، فالأم هي التي يقع عليها وحدها عبء الحمل والوضع والإرضاع، وما يرافقهما من تضحيات وآلام، حيث يبقى الطفل في بطنها مدة تسعة أشهر على الأغلب في مرحلة الحمل، يتغذّى في بطنها من غذائها، ويقرّ مطمئنًا على حساب راحتها وصحتها. ثم تأتي مرحلة الوضع الذي لا يعرف مقدار الألم فيه إلا الأم، حيث تكون حياتها - أحيانًا - مهدَّدة بالخطر.

ويوصي بها على وجه الخصوص: (وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ) لقمان: ١٤.
وبذلك يؤجج القرآن وجدان الأبناء حتى لا ينسوا أو يتناسوا جهد الآباء، وخاصة الأم وما قاسته من عناء، ويصبوا كل اهتمامهم على الزوجات والذرية.

§ ثانيًا : حقوق الوالدين في السُنَّة النبوية

احتلَّت مسألة الحقوق عمومًا وحقوق الوالدين على وجه الخصوص مساحة كبيرة من أحاديث ووصايا النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم، فقد ربط النبي بين رضا الله تعالى ورضا الوالدين، حتى يعطي للمسألة بُعدَها العبادي. وأكَّد صلى الله عليه وسلم أيضًا بأن عقوق الوالدين من أكبر الكبائر، وربَط بين حب الله ومغفرته وبين حب الوالدين وطاعتهما.

فعن الإمام زين العابدين (إنَّ رَجُلاً جاءَ إلى النبي صلى الله عليه وآله؛ فقال: يا رسول الله، ما مِن عَملٍ قبيح إلا قدْ عملتُه، فهل لي من توبة؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهَلْ مِن وَالِدَيكَ أحَدٌ حَي؟. قال: أبي.
فقال عليه الصلاة والسلام: فاذْهَبْ فَبرَّه.
فلما ولَّى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لَوْ كَانَتْ أمُّه!!).

وفي التوجيه النبوي: (مِنْ حَقِّ الوالِدِ عَلَى الوَلَدِ أن يخشع له عند الغضب، حِرصًا على كرامة الآباء منْ أن تُهدَر).

وفوق ذلك فقد اعتبر التسبب في شتم الوالدين من خلال شتم الولد للآخرين كبيرة من الكبائر، تستحق الإدانة والعقاب الأخروي. ثم إن البر بهما لا يقتصر على حياتهما، فيستطيع الولد المطيع أن يبرَّ بوالديه من خلال تسديد ديونهما، أو من خلال الدعاء والاستغفار لهما، وغير ذلك من أعمال البر.

ثم إن النبي (صلى الله عليه وآله) قد جسَّد هذه التوصيات على مسرح الحياة، ففي الوقت الذي كان يحثُّ المسلمين على الهجرة ليشكِّل منهم نواة المجتمع التوحيدي الجديد في المدينة، وفي الوقت الذي كان فيه المسلمون قلائل بالآحاد، تروي كتب السيرة: أنَّ رجلاً جاء إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: جئتُ أبايعك على الهجرة، وتركتُ أبوي يبكيان. فقال النبي (صلى الله عليه وآله): (إرجعْ إلَيهِمَا فَأضحِكْهُمَا كَمَا أبْكَيْتَهُمَا).

إن الإسلام لم يربط حقوق الوالدين بقضية الدين، وضرورة كونهما مسلمين، بل أوجب رعاية حُقوقهم بمعزَلٍ عن ذلك. فيقول الإمام الرضا: (برّ الوالِدَين وَاجِبٌ وإن كَانَا مُشركَين، ولا طَاعَةَ لهما في معصية الخالق).

ولم يكتَفِ الإمام الرضا بتبْيَان الحُكم الشرعي، بل كَشَف عن الحكمة من وراء هذا التحريم بقوله: (حَرَّم الله عُقوق الوَالِدين لمَا فِيه مِنَ الخُروج مِن التَّوفِيق لِطاعَةِ الله عَزَّ وجَلَّ، والتوقير للوَالِدَين، وتَجَنُّب كُفر النِّعمَة، وإبْطَال الشُّكْر، ومَا يَدعُو مِن ذلكَ إلى قِلَّة النَّسل وانقِطَاعِه، لِمَا فِي العقُوق من قِلَّة توقير الوالدين، والعرفان بحقهما، وقطع الأرحام، والزُّهد من الوالدين في الولد، وتَرك التربية بعِلَّة ترك الولد برهُمَا).

§ الآثار السلبيّة الدنيويّة لعقّ الوالديْن:

ذكرنا فيما سبق بعض الآثار الأخرويَّة المترتبة على عقوق الوالدين، ولعَلَّ من أبرزها التعرُّض لِسَخَطِ الله تعالى، وعدم قبول الطاعات، وغير ذلك من آثار. ومن يطَّلع على أحاديث أهل البيت يجد حشْدًا من الأحاديث في هذا المجال، وهنا سوف نقتصر على إبراز الآثار السلبية في دار الدنيا لمن أساء لوالديه، ويمكننا تصنيفها حسب النقاط الآتية:

- أولها: التعرّض للفقر والفاقة:

يقول الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) في هذا الخصوص: (أيُّمَا رَجُلٍ دَعَا عَلَى وَالِدِهِ أوْرَثَهُ الفَقر).

- ثانيها: المقابلة بالمثل:

إنَّ الأولاد الذين يُسيئون التصرف مع آبائهم سوف يُقابلهم أبناؤهم بالمثل، ولا يقيمون لهم وزنًا عندما يكبُرون. ويؤكِّد هذه الحقيقة ما وَرَد عن الإمام جَعفر الصادق (عليه السلام): (برُّوا آبَاءكُم يَبرُّكم أبناؤكم). وقد أثبتَت التجارب العملية هذه الحقيقة، وغدَتْ من المسلَّمات عَبْر الأجيال، فالذي يعقُّ والديه يواجه الحالة نفسها مع أبنائه لا مَحَالة.

- ثالثها: العقوق يورث الذِّلَّة والمَهانة:

ممَّا لا شَكَّ فيه أن الفرد الذي يعقُّ والديه ينظر له المجتمع بعَين السخط والاستخفاف، ويصبحُ منبوذًا مذمومًا على الصعيد الاجتماعي، ولا يُذكَر إلاَّ بالعار والشنار مَهما تستَّر خلفَ سواتِر الأعذار. فيقولُ الإمام الهَادي (عليه السلام): (العقوقُ يعقب القلة، ويؤدِّي إلى الذِّلَّة).

ويمكن حَمْل كَلمة القلة في الحديث على إطلاقها، فتشمل القِلَّة في المال والفقر المعنوي والاجتماعي المتمثل بقِلَّة الأصدقاء والمعارف الذين لا يلقُونَ حبال ودهم إلى من عَقَّ والديه، وكيف تحصل الثقة بمن قطع حبال الود مع والديه، وهما من أقرب المقرَّبين إليه؟. (موقع البلاغ).

نافذة

لم أطمئن قط ، إلا وأنا في حجر أمي

سقراط

قصص وعبـر

في بـر الوالدين وعقوقهما

إطلالـة

عن عبد الله بن العباس رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(أحفظ وُد أبيك، ولا تقطعه فيطفئ الله نورك)

(أخرجه أحمد)

§ حوار أمّ مع ابنها :

جلستُ ذات يوم أتفكر بأحوال الدنيـا، وأستذكر قصص واقعية كثيرة وكيف أن الإنسان قد يتغير وينسى كل شيء فعله أبواه لأجله !! وقد يستنكر أحيانا هذا !.. وما إن صحوت من التفكير العميق فإذا بي قد خططت هذه الاستفهامات...

طاذا يا ولدي خيبت أملي إلى بعيد ؟
بدلت بالحب الفطري، حب تقليد !
بدلت بالذهب الصافي فالصو من حديد !
قال يا أمي أقصدك زوجتي بالحب الجديد ؟
قالت لا والله، زوجتك لها حقٌ مثلي أو يزيد
قال فهل نقص عليكِ مالٌ أو عقدٌ فريد ؟
قالت إن المال يعوض في أي وقت أريد
قال أم ماذا القصد والعتاب الشديد ؟
قالت حبك وإخلاصك وحنانك لي ينقص كل يومٍ بالمزيد
قال هل تظنيني مازلت ذاك الطفل الوليد ؟
أنا كبرت يا أمي وصرت رجلاً أوصفهُ بالعنيد
قالت رعى الله أيامي وأحلامي في ذاك الوليد
حفظك ربي ورعاك و وفقك بالصحبة الطيبة إلى يوم الوعيد .

§ أم عبد الملك:

أول مرة سمعت فيها كلمة الإسلام: كانت أثناء متابعتي لبرنامج تليفزيوني، فضحكت من المعلومات التي سمعتها... بعد عام من سماعي كلمة "الإسلام" استمعت لها مرة أخرى.. ولكن أين؟، في المستشفى الذي أعمل فيه حيث أتى زوجان وبصحبتهما امرأة مريضة، جلست الزوجة تنظر أمام المقعد الذي أجلس عليه لمتابعة عملي وكنت ألاحظ عليها علامات القلق، وكانت تمسح دموعها.. من باب الفضول سألتها عن سبب ضيقها، فأخبرتني أنها أتت من بلد آخر مع زوجها الذي آتى بأمه باحثًا لها عن علاج لمرضها العضال..

كانت المرأة تتحدث معي وهي تبكي وتدعو لوالدة زوجها بالشفاء والعافية، فتعجبت لأمرها كثيرًا! تأتي من بلد بعيد مع زوجها من أجل أن يعالج أمه؟ تذكرت أمي وقلت في نفسي: أين أمي؟ قبل أربعة أشهر أهديتها زجاجة عطر بمناسبة "يوم الأم" ولم أفكر منذ ذلك اليوم بزيارتها! هذه هي أمي فكيف لو كانت لي أم زوج؟! لقد أدهشني أمر هذين الزوجين.. ولا سيما أن حالة الأم صعبة وهي أقرب إلى الموت من الحياة.. أدهشني أمر الزوجة، ما شأنها وأم زوجها؟! أتتعب نفسها وهي الشابة الجميلة من أجلها؟ لماذا؟ لم يعد يشغل بالي سوى هذا الموضوع؟ تخيلت نفسي لو أني بدل هذه الأم،

يا للسعادة التي سأشعر بها، يا لحظ هذه العجوز! إني أغبطها كثيرًا...

كان الزوجان يجلسان طيلة الوقت معها، وكانت مكالمات هاتفية تصل إليه من الخارج يسأل فيها أصحابها عن حال الأم وصحتها.. دخلت يومًا غرفة الانتظار فإذا بها جالسة، فاستغللتها فرصة لأسألها عما أريد.. حدثتني كثيرًا عن حقوق الوالدين في الإسلام وأذهلني ذلك القدر الكبير الذي يرفعهما الإسلام إليه، وكيفية التعامل معهما.

بعد أيام توفيت العجوز، فبكى ابنها وزوجته بكاءً حارًا وكأنهما طفلان صغيران... بقيت أفكر في هذين الزوجين وبما علمته عن حقوق الوالدين في الإسلام، وأرسلت إلى أحد المراكز الإسلامية بطلب كتاب عن حقوق الوالدين، ولما قرأته.. عشت بعده في أحلام يقظة أتخيل خلالها أني أم ولي أبناء يحبونني ويسألون عني ويحسنون إليَّ حتى أخر لحظة من عمري ودون مقابل.. هذا الحلم الجميل جعلني أعلن إسلامي دون أن أعرف عن الإسلام سوى حقوق الوالدين فيه... الحمد لله تزوجت من رجل مسلم، وأنجبت منه أبناء ما برحت أدعو لهم بالهداية والصلاح، وأن يرزقني الله برهم ونفعهم.

• • •

يُحكى أن فتاة تبلغ من العمر ١٨ سنة، وأبوها سيسجن خلال أيام بسبب ديون لم يستطع سدادها. قال لها والدها: يا بنيتي إني سأدخل السجن خلال أيام قليلة، يا بنيتي إني مهدد الآن استعيني بالله يا بنتي فقد تقدم لك رجل كبير في السن ولكنه ثري، وبإذن الله سيسدد كل الديون التي عليَّ، فما رأيك رعاك الله؟!

قالت: لا يا أبي، مستحيل.

عندها بكى الأب وذرفت عيناه دموع الحزن، وسبحان الله، فقد كان لتلك الفتاة أخت عمرها ١٦ سنة وكانت بارة بوالديها، عندها قالت: أبتاه أفديك وأفدي عيونك ودموعك، أنا قبلت به.

عندها فرح الأب وقال: بيَّض الله وجهك يا بنيتي، ثم كُتِبَ العقد، وبعد كتابته قال الزوج (الكبير في السن): الزواج سيكون بعد شهرين تقريبًا، فأنا عندي مهمة في ألمانيا وعندما أنتهي منها سأعود لإتمام الزواج.

ذهب الزوج المسنّ إلى ألمانيا ولما قرب رجوعه تعرض لحادث مات على إثره في ألمانيا فورثت تلك الزوجة الشابة ذات الـ ١٦ ربيعًا والتي لم يُدخل بها ورثت من زوجها عشرة ملايين ريال!!

لقد خلَّصت والدها من الهموم والغموم ومن السجن فجزاها مولاها الكريم ورزقها من حيث لا تحتسب، وبعد فترة الحداد تزوجت بشاب فتيّ.

• • •

§ في دار المسنين:

تقول إحدى الأخوات:

عندما ذهبت لزيارة دار المسنين في إحدى المناطق، وجدت امرأة لها سبع سنين وهي في دار المسنين تشتكي وتقول: كنت مريضة بالسُكَّر، ثم أصبتُ بغرْغرينا في ساقي حتى قرَّر الأطباء أن تُقطع ساقي، فلما خرجتُ مع ولدي إلى البيت، ومكثتُ عنده أيام، وأحسستُ أنني أصبحتُ عالة عليهم، لم تتحملني زوجته، حتى وصل به الحال أن رماني في المستودع لكي أنام مع الخادمة..

تقول هذه الأم: والله لقد كنتُ أنام مع الفئران والحشرات، مرَّت الأيام فلم أتحمَّل، طلبتُ منه أن يُغير لي هذا الحال، فكان يقول لي: لا يوجد عندي أفضل من هذه الحال، حتى عطفتْ عليَّ جارتي فأخذتني وجعلتْ لي غرفة في بيتها، فمكثتُ عندهم أسابيع، حتى بدأ ابني يُهدِّدهم ويُشاكيهم خوفًا على سُمعته وفضيحته من أهل الحي.. أخرجني من عندهم وهو يقول لي: سأضعك في مكان أفضل..

تقول الأم: فوجدتُ نفسي في هذه الدَّار، سبع سنوات ولم يُحدِّث نفسه بالزيارة ولا بالاتصال، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

• • •

هذه قصة يرويها أحد بائعي المجوهرات يقول: دخل عليه في المحل رجل وزوجته وخلفه أمه العجوز وتحمل ولده الصغير.. يقول أخذت زوجته تشتري من المحل وتشتري من الذهب..

فقال الرجل للبائع: كم حسابك؟

قال البائع: عشرون ألف ومائة..

فقال الرجل: ومن أين جاءت المائة..

قال: أمك العجوز اشترت خاتمًا بمائة ريال.. فأخذ ابنها الخاتم ورماه للبائع وقال: العجائز ليس لهن ذهب..

ثم لما سمعت العجوز هذا الكلام بكت وذهبت إلى السيارة..

فقالت زوجته: ماذا فعلت؟ ماذا فعلت لعلها لا تحمل ابنك بعد هذا؟ عيادًا بالله كأنها خادمة عندهم..

فعاتبه بائع المجوهرات.. فذهب الرجل إلى السيارة وقال لأمه: خذي الذهب الذي تريدين. خذي الخاتم إن أردت..

فقالت أمه: لا والله.. لا أريده.. والله لا أريد الخاتم ولكني أريد أن أفرح بالعيد كما يفرح الناس فقتلت سعادتي سامحك الله.

(وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا) [سورة الإسراء، الآية ٢٣].

• • •

هذا رجل فاجر عاص لله عاق لأبيه اسمه (منازل) أتاه أبوه يومًا من الأيام فأمره بالطاعة وأمره بالإحسان وأمره بالاستجابة لله عز وجل..

تعرفون ماذا فعل ؟!

لطم وجه الأب !!!

فذهب أبوه يبكي وقال: والله لأحجن إلى بيت الله الحرام وأدعو عليك هناك.. فحج الأب إلى بيت الله الحرام وتعلق بأستار الكعبة ثم رفع يديه وقال:

يا من إليه أتى الحجاج قد قطعوا أرضًا فلاة من قرب ومن بعد
هذا منازل لا يرتد عن عققي فخذ بحقي يا رحمن من ولدي
وشل منه بحول منك بارحة يا ليت ابني لم يُولد ولَمْ ألدِ

وما إن أنزل الوالد يديه إلا وشل الله الابن، وأصبح مشلولاً إلى أن مات عياذًا بالله..

• • •

وهذا رجل كبر أبوه.. فأخذه على دابة (جمل) إلى وسط الصحراء، فقال أبوه: يا بني أين تريد أن تأخذني؟

فقال الابن: لقد مللتك وقد سئمتك.

قال الأب: وماذا تريد؟.

قال: أريد أن أذبحك لقد مللتك يا أبي..

فقال الأب: إن كنت ولا بد فاعلاً فاذبحني عند تلك الصخرة.

فقال الابن: ولمَ يا أبي؟.

قال الأب: فإني قد قتلت أبي عند تلك الصخرة فاقتلني عندها فسوف ترى من أبنائك من يقتلك عندها.

• • •

اتقوا الله..اتقوا الله.. عبد الله اتق الله.. ثم اطلع ماذا قدمت للغد.. الغد القريب.. ربما تكون هذه الليلة الأخيرة..

ربما لن ترى الفجر.. وربما لن ترى الشمس تشرق عليك..

ربما لن ترجع إلى أهلك.. وربما لن تكمل قراءة هذه السطور..

هي أقرب من لمح البصر.. بل يا عبد الله الأمر يأتي بغتة وفجأة، فاتق الله وأحسن بوالديك. لا إله إلا الله..

• • •

§ توبة عاق:

بدأ هذا التائب حديث بقوله:
كم تحمَّلا مني الكثير، وسمعتهما أكثر من مرة وهما يطيبان خاطر بعضهما: إنه شاب طائش وعندما يتزوج ويرزقه الله بأولاد سوف يدرك ما قدمناه له.

قال ذلك بصعوبة، ودموعه تكاد تخنقه، ثم واصل حديثه قائلاً:
والداي اللذان فعلا الكثير من أجلي... وعندما كبرتُ، وكبرا؛ لم أكن أطيق نظرة لوم أو عتاب منهما، وظللتُ على عقوقي لهما، وظلا متعلقين بالأمل في أن أتغير بعد الزواج، وفعلاً تغيرتُ، ولكن إلى الأسوأ؛ فقد ابتليتُ بزوجة مغرورة متعجرفة، كانت تتعالى حتى على لغتنا العربية، فنادرًا ما كانت تنطق بكلمة منها، إذ كان يحلو لها أن تتحدث بالإنجليزية، وبلهجة أمريكية! تغاضيت عنها كثيرًا وأنا أراها تحتقر أمي وأبي، وأتذكر الآن كيف كانت تحبسهما في إحدى غرف المنزل بعيدًا عن أعين صديقاتها! ومع ذلك لم يبديا أي اعتراض أو شكوى. وأعترفُ أنني كنتُ أخافُ غضب زوجتي، مما شجعها على التمادي في إذلال أبي وأمي، والتفرد بي.

وفي إحدى ليالي العام المنصرم خرجتُ أنا وزوجتي وطفلي الوحيد للنزهة.. وأظنكم تدركون من سياق كلامي أنني لا أجرؤ على اقتراح أخذ أبي وأمي معنا، وهما من جانبهما قد اعتادا هذا الإهمال

المتعمد من قبلنا، وفي تلك الليلة، عدتُّ إلى المنزل لأجد أبي بمفرده.. ولما سألته عن والدتي عرفتُ التفاصيل المخزية؛ لقد شعرتْ والدتي - في تلك الليلة - بأحشائها تتقطع، طرق أبي باب أحد الجيران فقام بحملها إلى أقرب مستشفى، الطبيب قرر أن حالتها خطيرة، ولابدّ من بقائها في غرفة العناية المركزة، لم أستمع إلى باقي القصة من فم أبي الواهي؛ فقد جذبتني زوجتي من ثوبي، وأغلقتْ باب غرفتنا في وجه أبي.. وقالت: لنستريح الآن، وفي الصباح نذهب إليها!

وفي الصباح.. كان الموت أسبق.. صُدمتُ حين علمتُ أن والدتي قد فارقت الحياة، استدرتُ إلى زوجتي.. طلقتها، والآن، أكرس ما بقي من عمري لخدمة أبي وولدي الصغير، وأدعو الله من كل قلبي أن يرحم أمي، ويغفر لي زلتي.. نعم أنا نادم أشد الندم، ولكن هل يُعيد الندم والدتي إلى قيد الحياة كي أصحح غلطتي، وأعوض ما فات؟

• • •

§ صراع بين أخوين:

(ما أبكى حيزان هو خسارته أمام أخيه قضية رعاية أمه العجوز التي لا تملك سوى خاتم من نحاس)...

نقرأ كثيرًا ونسمع عن قصص مؤسفة تتحدث عن العقوق الذي يسود العلاقات العائلية في بعض الأسر، وتنتج عنه تصرفات مشينة تثير الغضب، قضايا وصراعات عائلية تصل إلى المحاكم وتأخذ طابعًا حادًا في الصراع بين أفراد بعض الأسر في قضايا الإرث، وتنتج عنها قطيعة في الرحم التي أمر الله بها أن توصل، وانقطاع في التواصل ويتجاهل الجميع في سلوكهم ما نصَّت عليه تعاليم الشريعة السمحة من حث على صلة الرحم واعتبارها مطلبًا شرعيًا يفترض أن يؤديه كل مسلم..

وقد شدني موضوع نُشر في صحيفة الرياض، ورد في مقدمته صراع حاد بين أخوين يناقش حاجة أحد المواطنين واسمه حيزان إلى المساعدة المادية، ولن أتحدث عن هذا الجانب؛ ذلك أن موضوعي يختلف، ما سأتحدث عنه هو بكاء حيزان، حيزان رجل مسن من الاسياح (قرية تبعد عن بريدة ٩٠كم) بكى في المحكمة حتى ابتلت لحيته، فما الذي أبكاه؟

هل هو عقوق أبنائه، أم خسارته في قضية أرض متنازع عليها، أم هي زوجة رفعت عليه قضية خلع؟

في الواقع ليس هذا ولا ذاك، ما أبكى حيزان هو خسارته قضية غريبة من نوعها، فقد خسر القضية أمام أخيه لرعاية أمة العجوز التي لا تملك سوى خاتم من نحاس، فقد كانت العجوز في رعاية ابنها الأكبر حيزان، الذي يعيش وحيدًا، وعندما تقدمت به السن جاء أخوه من مدينة أخرى ليأخذ والدته لتعيش مع أسرته، لكن حيزان رفض محتجًا بقدرته على رعايتها، وكان أن وصل بهما النزاع إلى المحكمة ليحكم القاضي بينهما، لكن الخلاف احتدم وتكررت الجلسات وكلا الأخوين مصر على أحقيته برعاية والدته، وعندما طلب القاضي حضور العجوز لسؤالها، فأحضرها الأخوان يتناوبان حملها في كرتون فقد كان وزنها ٢٠ كيلوجرام فقط وبسؤالها عمن تفضل العيش معه، قالت وهي مدركة لما تقول:

- هذا عيني مشيرة إلى حيزان وهذا عيني الأخرى مشيرة إلى أخيه.

وعندها أضطر القاضي أن يحكم بما يراه مناسبًا، وهو أن تعيش مع أسرة الأخ الأصغر فهم الأقدر على رعايتها، وهذا ما أبكى حيزان..

ما أغلى الدموع التي سكبها حيزان، دموع الحسرة على عدم قدرته على رعاية والدته بعد أن أصبح شيخًا مسنًا، وما أكبر حظ الأم لهذا التنافس، ليتني أعلم كيف ربت ولديها للوصول لمرحلة التنافس في المحاكم على رعايتها. هو درس نادر في البر في زمن شح فيه البر. ابكي يا عاق الوالدين لعل يرق قلبك ويحن لأبيك وأمك.

• • •

§ مثل ما تعامل والديك تجازى من أبنائك!

كانت الأم جالسة مع أطفالها تساعدهم في واجباتهم المدرسية وكان من بين أبنائها طفلها الذي لم يدخل المدرسة بعد..
بعد الانتهاء من الواجبات الدراسية قامت الأم لتحضير الغداء لأب زوجها (المسن) الذي كانت له غرفه منعزلة في الخارج في حديقة المنزل.. ذهبت إليه وقدمت له الغداء واطمأنت عليه وتأكدت أنه لا يريد شيء آخر.
أثناء عودتها إلى المنزل أصابها الفضول فيما كان يفعله ابنها الطفل.. لاحظت الأم قبل إحضار الطعام لأب زوجها أن ابنها كان ممسكًا بقلم أحد إخوته ويرسم مربعات ودواوير على ورقه فتجاهلت الأمر، لكنها تفاجئت أنها وبعد انتهاء عملها وعودتها من عند أب زوجها (عمها) أن ابنها لا يزال ممسكًا بالقلم ويرسم.. فتقربت الأم شيئًا فشيئًا إلى ابنها وهي تسأله: ماذا يرسم الحبيب؟ فقال لها أرسم بيت المستقبل الذي سأسكنه أنا وزوجتي وأطفالي.. فرحت الأم لما سمعته، ولكنها لاحظت أن ابنها رسم مربع منعزل خارج المنزل.. فسألته: لما هذا المربع هنا ومنعزل عن باقي المربعات والممرات في المنزل؟
فكان الجواب كالصاعقة للأم التي لم تتوقعه من ابنها والتي حمدت الله على سؤال ابنها قبل فوات الأوان..
كان جواب الابن البريء: هذه ماما ستكون غرفتك عندما تكبرين.

فسألته: وهل ستجعلني في غرفة لوحدي ولا أحد يؤنسني؟
فقال لها: لا سأزورك، ولكنني سأجعلك في غرفة منعزلة مثل غرفة جدي..

ما أن سمعت الأم هذا الجواب من ابنها حتى فاضت عينيها بالدموع فقررت تبديل غرفة الجلوس في البيت بغرفة عمها (أب زوجها)، ونقل غرفة الجلوس إلى الخارج.
وأثناء عودة الزوج من عمله استغرب لما يحصل في المنزل من تغييرات فذهب إلى زوجته وسألها ما الذي يحصل؟ ولما هذه التغييرات؟ فأجابته: تأثرت بكلام ابني الذي رسم بيت المستقبل وغرفتنا أنا وأنت المنعزلة عن المنزل فلا أريد أن يرى أبنائي جدهم منعزل ويقوموا بفعل نفس الشيء بنا أنا وأنت.
كاد الزوج أن يطير من الفرحة لما قررته زوجته وبارك لها جهودها.
وما أن دخل العم إلى المنزل حتى تفاجأ الابن لما يراه فغير رسم بيت المستقبل وأضاف غرفة والديه (المربع المنعزل) إلى بيته.

فهذه يا أحبتي قصه من بين آلاف القصص، أردت أن يعرف الآباء والأمهات أن حسن معاملة الوالدين مهمة.. لأنها ستحظى بنفس المعاملة من الأبناء.

• • •

§ ثمن العقوق:

كانت هناك أم عجوز وابنها المتزوج ويسكن معها في نفس المنزل وذات يوم جاء الابن من العمل ودخل عند زوجته فشحنته بكلام كثير عن أمه، فنزل إلى أمه غضبان ووجهه محمر فقال لأمه المسكينة قومي سوف اذهب معك إلى مشوار، ولم تعرف الأم نية ابنها، فذهب بها إلى الطريق الجبلي ووصل بها إلى قمة الجبل وقال لها: لقد نفد صبري، إن لم تنتهي معاملتك لزوجتي فسأرميك من هذا الجبل، فقالت الأم بكل سكينة ووقار افعل ما شئت ولكن قبل هذا دعني اصلي ركعتين، وبعد انتهائها من الصلاة انشقت الأرض وابتلعت الابن حتى رقبته.

وذهلت الأم وصرخت حتى سمعها المارة وجاؤا ليخرجوا الولد من الحفرة ولكن دون جدوى، واستدعوا الشيخ إلى الموقع فقال لها الشيخ هذا ثمن العقوق ادعي الله أن يفرج عنه، ودعت الأم ربها حتى انفك الولد بقدرة الله وعاد الولد إلى الحياة، ولكنه لا يستطيع الشرب إلا من يد أمه لأنه مهما شرب من الآخرين لا يرتوي أبدًا، انظروا إلى الأم كيف بادلت العقوق بالإحسان.

• • •

§ سخطها حجب لسانه عن الشهادة

ورضاها أطلق لسانه!

يحكى أنه في زمن النبي عليه أفضل الصلاة والسلام شاب يسمى علقمة وكان كثير الاجتهاد في طاعة الله في الصلاة والصوم والصدقة فمرض واشتد مرضه، فأرسلت امرأته إلى رسول الله أن زوجي علقمة في النزع فأردت أن أعلمك يا رسول بحاله، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم عمارًا وصهيبًا وبلالاً وقال: امضوا إليه ولقنوه الشهادة، فمضوا عليه ودخلوا عليه فوجدوه في النزع، فجعلوا يلقنونه لا إله إلا الله ولسانه لا ينطق بها، فأرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم يخبرونه أنه لا ينطق لسانه بالشهادة، فقال صلى الله عليه وسلم: هل من أبويه أحد حي؟ قيل: يا رسول الله أم كبيرة بالسن. فأرسل إليها رسول الله وقال للرسول: قل لها إن قدرت على المسير إلى رسول الله وإلا فقري في المنزل حتى يأتيك.
فجاء إليها الرسول فأخبرها بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: نفسي له الفداء أنا أحق بإتيانه، فتوكأت على عصا وأتت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت فرد عليها السلام وقال لها: يا أم علقمة كيف كان حال ولدك علقمة؟ قالت: يا رسول الله كثير الصلاة وكثير الصيام وكثير الصدقة.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فما حالك؟
قالت: يا رسول الله أنا عليه ساخطة.

قال: ولم؟

قالت: يا رسول الله يؤثر علي زوجته ويعصيني.

فقال رسول الله: إن سخط أم علقمة حجب لسان علقمة من الشهادة، ثم قال: يا بلال انطلق واجمع لي حطبًا كثيرًا.

قالت: يا رسول الله وما تصنع به؟

قال: احرقه بالنار بين يديك.

قالت: يا رسول الله ولدي لا يحتمل قلبي أن تحرقه بالنار بين يدي.

قال: يا أم علقمة عذاب الله أشد وأبقى، فإن سرك أن يغفر الله فارضي عنه فوالذي نفسي بيده لا ينتفع علقمة بصلاته ولا بصدقته ما دمت عليه ساخطة. فقالت: يا رسول الله إني أشهد الله تعالى وملائكته ومن حضرني من المسلمين أني رضيت عن ولدي علقمة.

فقال رسول الله: انطلق يا بلال إليه فانظر هل يستطيع أن يقول "لا إله إلا الله" أم لا؟ فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس في قلبها حياءً مني فانطلق بلال فسمع علقمة من داخل الدار يقول لا إله إلا الله.

فدخل بلال وقال: يا هؤلاء إن سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة وإن رضاها أطلق لسانه.

ثم مات علقمة فحضر رسول الله فأمر بغسله وكفنه ثم صلى عليه وحضر دفنه، ثم قام على شفير قبره فقال: يا معشر المهاجرين والأنصار من فضَّل زوجته على أمه فعليه لعنة الله وملائكته والناس أجمعين. لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً إلا أن يتوب إلى الله عز وجل ويحسن إليها ويطلب رضاها فرضى الله في رضاها.

§ أريد الاحتفاظ بصحن الطعام

يُذكر عن أحدهم أنه تزوج أولاده وبناته وبقي هو وزوجته وهم كبار في السن عندهم سائق وعندهم خادمة يأتيهم أولادهم وبناتهم يزورونهم.

ماتت العجوز وبقي الشيخ الكبير، وكان من الصعب أن يبقى في البيت بمفرده فترك البيت وذهب وسكن عند أكبر أبنائه. ومن الطبيعي أن تظهر من هذا الشيخ الكبير بعض التصرفات التي قد تزعج زوجة الابن لكبر سنه وهرمه، ولكن هذه الزوجة لم تصبر على هذا الشيخ الكبير فاشتكت إلى زوجها من أبيه فرأت من زوجها شيئًا من التراخي والتقصير في حق أبيه. فبدأت تتشرط على هذا الزوج وتقول: يا أنا يا أبوك في هذا البيت.

فجعل يلاينها ويسايسها حتى اتفقا على أن يخرجوا الأب من الغرفة الداخلية في المنزل ويوضع في مكان السواق في الملحق. ثم جاء الابن إلى أبيه وقال: ما رأيك أن ننقلك إلى الملحق فهناك أريح لك فهو أقرب للهواء وأقرب للشمس وأوسع لصدرك، فوافق الأب على هذا وتم نقله إلى الملحق ومع مرور الأيام بدأ ينسى الأب.

وكانت الزوجة قد خصصت صحنًا من البلاستيك يوضع فيه الأكل لهذا الشيخ الكبير وكانت تقول للخادمة: لا تضعي الأكل إلا في هذا الصحن حتى لا يكسر الصحون الزجاجية أو يوسخها. ولم يكن أحد يهتم بهذا الشيخ الكبير بل كان يوضع له الأكل في هذا الصحن من

الوجبة إلى الوجبة، ولم يكن أحد يهتم به أو يهتم بنظافته أو نظافة غرفته واستمر هذا الوضع حتى توفي هذا الشيخ الكبير.

وبعد مرور أيام من وفاة الأب قام الابن بدخول غرفة أبيه هو والخدم لأجل تنظيفها وتجهيزها للسائق، وبينما هم ينظفون الغرفة وقعت عين أحد أطفال هذا الابن العاق على ذلك الصحن البلاستيك فانطلق مسرعًا وقام بأخذه. فاستغرب الأب من ابنه وقال له: هذا الصحن وسخ لا نريده.

فصاح الابن وقال: لا، أريده.. أريده. فتعجب الأب وقال له: ماذا تصنع به؟

فقال الابن الصغير: أريد أن أحتفظ به حتى إذا كبرت أضع لك الطعام فيه.

عندها علم الابن الكبير أنه كان عاقًا لوالده فندم أشد الندم على ما صنعه مع أبيه من عقوق وطرح على فراش أبيه يشمه ويضمه بعد أن ترك أباه في ذلك الفراش الذي لم يكن أحد يهتم به أو يهتم بنظافته.

• • •

§ رجل أصابته دعوة أبيه

يقول أحد الدعاة:

أذكر رجلاً كان في ضعف وضيق حال، كان يذهب ويسعى لوالده فإذا جاء بالأجرة في يومه جاء ووضعها على الطاولة ويستحي أن يمد يده لأبيه.. فلما سألته عن ذلك، قال: أستحي أن ارفع يدي على يد أبي فتكون منّة على والدي.. (يحكي لي وهو عالم من العلماء) ويقول كنت لما أضع المال بين يديه يَدْعُ الله لي ويقول: اللهم ارزق ابني القرآن واجعله من أهله.. فجلس سنين طوال وهو تائه في الأعمال حتى شاء الله يومًا وهو راجع من عمله أن يلتقي بعالم كان عمدة للفتوة في بلده، فقال: أي بني ما هذا الذي أنت فيه؟

قال: ما ترى، أسعى للرزق، قال: هل لك أن تجعل لي يومًا من أسبوعك.. قال: نعم ونعمت عيني بذلك، فما زال يتردد على ذلك العالم حتى جاء اليوم الذي يناقش فيه رسالة في الدكتوراه في تفسير القرآن العظيم، فلما دعي للمناقشة وجلس إذا بشيخه وأستاذه يقوم له مهابة وإجلالاً لما كان فيه من العلم والخشية..

وقال: تفضل يا شيخ فلان.. فجلس يبكي فقال له تبكي ونحن نريد أن نُجِلَّك، فقال تذكرت دعوت أبي رحمه الله.

• • •

§ قصة واقعية حصلت في إحدى الدول الخليجية :

أم سالم تهتم بأبنائها جدًا.. ابنها عامر في المرحلة الثانوية، يهوى اللعب والمرح ويكره المذاكرة؛ كغيره من الطلاب. كانت والدته كثيرة الحرص عليه وتنصحه دائماً بأن يهتم بدروسه وتذكره بأهمية العلم والدراسة، ولكنه أبى إلا أن يلعب الكرة مع أصدقائه كل يوم، ويكره تلك النصائح الموجهة إليه النابعة من قلب أمه ! رغم هذا كانت تدعو له بالخير والهداية والصلاح.

مرت الأيام وظهرت النتائج، وحصل عامر على درجة نجاح لا يكاد يستطيع ذكرها لأحد !! ياللخجل... قرر بعدها أن يواصل حياته بعد الدراسة بقضاء أوقات ممتعة مع الأصدقاء ـرفقة السوءـ والسفر إلى دولة قريبة لتغيير الجو؛ على حد قولهم.

بعد هذه السنوات والأيام عاد إلى منزله على خلفية مرض والدته.. عاد إليها بكل شوق وحنين، واستشعر غيابه عنها وأهمية تواجده معها، ورغم هذا كانت والدته تدعو له من كل قلبها أن يوفقه ويسهل أموره..

قالت له: يا ولدي العزيز، أنت الآن أصبحت شابًا ولا أظنك بحاجة لنصائحي، فأنت تعرف ما عليك فعله، ولن أزيد على ما كنت أقوله لك سابقاً.

قرر عامر الذهاب لمواصلة دراسته، وحصل على البكالوريوس والماجستير، وحصل على وظيفة، وتزوج وأصبح أب لديه أطفال.
ويستمر دعاء الوالدة له بالخير والتوفيق، وقطع عهدًا على أنه لن يترك والدته بعد ذلك اليوم، وأنه لن يفرق بين زوجته ووالدته أبدًا، فكان عندما يحضر لزوجته شيئًا من الخارج؛ يحضر مثله لوالدته؛ سواء كان شرابًا أو أثاثًا أو غيره...

سبحان الله.. كل هذا الخير الذي أصبح يعيشه عامر كان بفضل بره وحبه وإخلاصه لوالدته، وأيضاً لا ننسى أن دعاء الوالدين مجاب مجاب مجاب..
عامر الآن يعيش أيامًا جميلة تحت رضا والدته وقربه لها..
بارك الله فيه وكثر من أمثاله ووفقه.

• • •

§ قصة محمد .. و أمه

هاهي عقارب الساعة تزحف ببطء لتصل إلى السادسة مساء في منزل زوجة الفقيد أبي محمد؛ التي تقضي اليوم الأول بعد رحيل زوجها الشاب إلى جوار ربه، ولسان حالها تجاهه وهي ترمق صخب الدنيا :

جاورتُ أعدائي وجاور ربه، شتان بين جواره وجواري.

غصّ البيت بالمعزين رجالا ونساء صغارًا وكبارا...

اصبري يا أم محمد واحتسبي، وعسى الله أن يريكِ في محمد ذي الثلاثة أعوام خير خلف لأبيه.

وهكذا قضى الله أن يقضي محمد طفولته يتيم الأب، غير أن رحمة الله أدركت هذا الغلام، فحنن عليه قلب أمه فكانت له أمًا وأبًا.

تمر السنون ويكبر الصغير وينتظم دارسًا في المرحلة الابتدائية..

ولما كُرِّم متفوقًا في نهاية السنة السادسة أقامت له أمه حفلاً رسم البسمة في وجوه من حضر.. ولما أسدل الليل ستاره وأسبل الكون دثاره؛ سارّتْه أمه أن يا بني ليس أخاف عليك قلة ذات اليد عندنا، لكني عزمت أن أعمل في نسج الثياب وبيعها، وكل مناي أن تكمل الدراسة حتى الجامعة وأنت في خير حال..

بكى الطفل وهو يحضن أمه قائلاً ببراءة الأطفال :

- ماما إذا دخلت الجنة إن شاء الله سأخبر أبي بمعروفك الكبير معي.

تغالب الأم دموعها مبتسمة لوليدها.

وتمر السنون ويدخل محمد الجامعة ولا تزال أمه تنسج الثياب وتبيعها حتى كان ذلك اليوم...

دخل محمد البيت عائدًا من أحد أصدقائه فأبكاه المشهد.. وجد أمه وقد رسم الزمن على وجهها تجاعيد السنين.. وجدها نائمة وهي تخيط؛ لا يزال الثوب بيدها..

كم تعبت لأجل محمد ! كم سهرت لأجل محمد !

لم ينم محمد ليلته تلك، ولم يذهب للجامعة صباحًا..عزم أن ينتسب في الجامعة ويجد له عملاً ليريح أمه من هذا العناء..

غضبت أمه وقالت: إن رضاي يا محمد أن تكمل الجامعة منتظمًا وأعدك أن أترك الخياطة إذا توظفت بعد الجامعة...

وهذا ما حصل فعلا..

ها هو محمد يتهيأ لحفل التخرج ممنيًا نفسه بوظيفة مرموقة يُسعد بها والدته، وهذا ما حصل فعلاً..

محمد في الشهر الأول من وظيفته وأمه تلملم أدوات الخياطة لتهديها لجارتها المحتاجة..

محمد يعد الأيام لاستلام أول راتب وقد غرق في التفكير :

كيف يرد جميل أمه ؟! أيسافر بها ؟! أيسربلها ذهبا ؟!

لم يقطع عليه هذا التفكير إلا دخول والدته عليه وقد اصفر وجهها من التعب.. قالت يا بني أشعر بتعب في داخلي لا أعلم له سببًا..

هب محمد لإسعافها.. حال أمه يتردى.. أمه تدخل في غيبوبة..

نسي محمد نفسه.. نسي عمله.. ترك قلبه عند أمه لا يكاد يفارقها، لسان حاله :

- فداكِ النفس يا أمي.. فداكِ المال والولد.

وكان ما لم يدر في حسبان محمد..

هاهي الساعة تشير إلى العاشرة صباحًا.. محمد يخرج من عمله إلى المستشفى ممنيًا نفسه بوجه أمه الصبوح ريانا بالعافية.. وعند باب القسم الخاص بأمه استوقفه موظف الاستقبال وحثه على الصبر والاحتساب..

صعق محمد مكانه ! فقد توازنه ! وكان أمر الله قدرًا مقدورا.

شيع أمه المناضلة لأجله، ودفن معها أجمل أيامه، ولحقت بزوجها بعد طول غياب.

وعاد محمد يتيم الأبوين.

انتهى الشهر الأول ونزل الراتب الأول لحساب محمد.. لم تطب نفسه به، ما قيمة المال بلا أم ؟!

هكذا كان يفكر حتى اهتدى لطريق من طرق البر عظيم، وعزم على نفسه أن يرد جميل أمه حتى وهي تحت التراب..

عزم محمد أن يقتطع ربع راتبه شهريا ويجعله صدقة جارية..

حفر لها عشرات الآبار وسقى الماء وبالغ في البر والمعروف، ولم يقطع هذا الصنيع أبدًا حتى شاب عارضاه وكبر ولده ولا يزال الربع مُوقفاً لأمه.

كانت أكثر صدقاته في برادات الماء عند أبواب المساجد..
وفي يوم من الأيام وجد عاملاً يقوم بتركيب برادة عند المسجد الذي يصلي فيه محمد..
عجب محمد من نفسه ! كيف غفلت عن مسجد حينا حتى فاز به هذا المحسن ؟! فرح للمحسن وندم على نفسه !
حتى بادره إمام المسجد من الغد شاكرًا وذاكرًا معروفه في السقيا !
قال محمد: لكني لم أفعل ذلك في هذا المسجد !
قال: بلى، جاءني ابنك عبد الله –وهو شاب في المرحلة الثانوية– وأعطاني المبلغ قائلاً : هذا سأوقفه صدقة جارية لأبي، ضعها في برادة ماء.
عاد الكهل محمد لابنه عبد الله مسرورًا بصنيعه، سأله كيف جئت بالمبلغ ؟! ليفاجأ بأن ابنه مضى عليه خمس سنوات يجمع الريال إلى الريال حتى استوفى قيمة البرادة !
وقال : رأيتك يا أبي منذ خرجتُ إلى الدنيا تفعل هذا بوالدتك.. فأردت أن أفعله بوالدي..
ثم بكى عبد الله وبكى محمد، ولو نطقت تلك الدمعات لقالت:
إن بركة بر الوالدين تُرى في الدنيا قبل الآخرة !

وبعد.. فيا أيها الأبناء..
بروا آباءكم ، ولو ماتوا.. يبركم أبناؤكم

• • •

نافذة

لم أعرف معنى الأمومة إلا عندما رزقت بولد ،
حينها عرفت أن كل ما أقدمه لأمي
لا يساوي ليلة واحدة سهرت فيها من أجلي

عادل سالم

من أدعية الأنبياء والصالحين لآبائهم في القرآن الكريم

إطلالة

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث:

صدقة جارية. أو علم ينتفع به. أو ولد صالح يدعو له)

رواه مسلم

دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام:

رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء ، رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَاب.

(سورة إبراهيم ٤٠ – ٤١)

• • •

دعاء سيدنا نوح عليه السلام:

رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

(سورة نوح ٢٨)

• • •

دعاء سيدنا سليمان عليه السلام:

رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي برَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِين.

(سورة النمل ١٩)

• • •

دعاء الصالحين في القرآن الكريم:

رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِين.

(سورة الأحقاف ١٥)

رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً.

(سورة الإسراء ٢٤)

• • •

دعاء بر الوالدين للإمام علي زين العابدين رضي الله عنه:

اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وأزواجه وذريته، واخصص أبوي بأفضل ما خصصت به آباء عبادك المؤمنين وأمهاتهم يا أرحم الراحمين.
اللهم وإن سبقت مغفرتك لهما فشفعهما في وإن سبقت مغفرتك لي فشفعني فيهما حتى نجتمع في دار كرامتك ومحل مغفرتك ورحمتك إنك ذو الفضل العظيم والمن القديم وأنت ارحم الراحمين.

• • •

وجوب الدعاء للوالدين:

قال الله تعالى: (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً). "سورة الإسراء ٢٤"

الأمر هنا للوجوب فيجب على الولد أن يدعو لوالديه بالرحمة.
وقد سُئل سفيان الثوري كم يدعو الإنسان لوالديه؟ في اليوم مرة أو في الشهر أو في السنة؟
قال: نرجو أن يجزيه إذا دعا لهما في أخر التشهد كما قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً). "سورة الأحزاب ٥٦"
فكانوا يرون أن التشهد يكفي في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال بعض التابعين: من دعا لوالديه خمس مرات فقد أدى حقهما لأن الله تعالى قال: (أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ) "لقمان ١٤"
فشكر الله تعالى أن يصلي في كل يوم خمس مرات وكذلك شكر الوالدين أن يدعو لهما في كل يوم خمس مرات.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا ترك العبد الدعاء للوالدين انقطع عنه الرزق. (الحاكم)

• • •

دعاء الوالدين مستجاب فاطلب الدعاء:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ثلاث دعوات مستجاب لهن ولاشك فيهن، دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالدين على الولد (أحمد والبخاري)، وفي رواية دعوة الوالد لولده وقال النبي صلى الله عليه وسلم: أربعة دعوتهم مستجابة، الإمام العادل، والرجل يدعو لأخيه بظهر الغيب، ودعوة المظلوم، ورجل يدعو لولده.

طلب رجل من أحد الصالحين أن يدعو لابنه فقال: دعاؤك له ابلغ دعاء الوالد لولده كدعاء النبي لأمته.

• • •

دعاء الشيخ / محمد بن أحمد الحضرمي :

اللهم ارحم والدينا ، اللهم ارحم والدينا ، اللهم ارحم والدينا ،
واغفر لهم وارض عنهم رضا تحل به عليهم جوامع رضوانك، وتحلهم به دار كرامتك وأمانك، ومواطن عفوك وغفرانك، وأدر به عليهم لطائف برك وإحسانك.
اللهم اغفر لهم مغفرةً جامعة، تمحو بها سالف أوزارهم وسيء إصرارهم، وارحمهم رحمة تنير لهم بها المضجع في قبورهم وتؤمنهم بها يوم الفزع، عند نشورهم.
اللهم تحنن على ضعفهم كما كانوا على ضعفنا متحننين، وارحم انقطاعهم إليك كما كانوا لنا في حال انقطاعنا إليهم راحمين، وتعطف عليهم كما كانوا علينا في حال صغرنا متعطفين.
اللهم احفظ لهم ذلك الود الذي أشربته قلوبهم، والحنانة التي ملأت بها صدورهم، واللطف الذي شغلت به جوارحهم، واشكر لهم ذلك الجهاد الذين كانوا فينا مجاهدين، ولا تضيع لهم ذلك الاجتهاد الذي كانوا فينا مجتهدين، وجازهم على ذلك السعي الذي كانوا فينا ساعين، والرعي الذي كانوا لنا راعين ـ أفضل ما جزيت به السعاة المصلحين، والرعاة الناصحين.
اللهم برهم أضعاف ما كانوا يبرونا، وانظر إليهم بعين الرحمة كما كانوا ينظروننا.

اللهم هب لهم ما ضيعوا من حق ربوبيتك بما اشتغلوا به في حق تربيتنا، وتجاوز عنهم ما قصروا فيه من حق خدمتك، بما آثرونا به في حق خدمتنا، واعفو عنهم ما ارتكبوا من الشبهات من أجل ما اكتسبوا من أجلنا، ولا تؤاخذهم بما دعتهم إليه الحمية من الهوى لما غلب على قلوبهم من محبتنا، وتحمل عنهم الظلامات التي ارتكبوها فيما اجترحوا لنا وسعوا علينا، والطف بهم في مضاجع البلاء لطفًا يزيد على لطفه في أيام حياتهم بنا.

اللهم وما هديتنا له من الطاعات، ويسرته لنا من الحسنات، ووفقتنا له من القربات، فنسألك اللهم أن تغفر لنا ولهم ما اقترفناه من السيئات، واكتسبناه من الخطيئات، وتحملناه من التبعات، فلا تلحقهم منا بذلك حوبًا، ولا تحمل عليهم من ذنوبنا ذنوبًا.

اللهم وكما سررتهم بنا في الحياة ، فسرهم بنا بعد الوفاة. اللهم ولا تبلغهم من أخبارنا ما يسوءهم، ولا تحملهم من أوزارنا ما ينوءهم ولا تخزهم بنا في عسكر الأموات بما نحدث من المخزيات، ونأتي من المنكرات، وسر أرواحهم بأعمالنا في ملتقى الأرواح، إذا سر أهل الصلاح بأبناء الصلاح، ولا تقفهم منا على موقف افتضاح بما نجترح من سوء الاجتراح. اللهم وما تلونا من تلاوة فزكيتها، وما صلينا من صلاة فتقبلتها، وما تصدقنا من صدقة فنميتها، وما عملنا من أعمال صالحة فرضيتها، فنسألك اللهم أن تغفر لنا ولهم بالغفران والرحمة والعتق من النار.

اللهم اجعلنا لهم قرة أعين يوم يقوم الأشهاد، واسمعهم منا أطيب النداء يوم التناد، و أجعلهم بنا من أغبط الآباء بالأولاد، حتى تجمعنا وإياهم والمسلمين جميعا بدار كرامتك، ومستقر رحمتك، ومحل أوليائك، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبة وسلم تسليماً كثيرًا يوم الدين، وصل اللهم على آبائه وإخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى آلة وأتباعه وأشياعه من الموجودين، وعلى أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، وعلى جميع الصحابة التابعين، وتابع التابعين، من يومنا هذا إلى يوم الدين، وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

نافذة

أَحِنُّ إِلَى الكَأْسِ التِي شَرِبَتْ بِهَا

وأَهْوَى لِمَثْوَاهَا التُّرَابَ وَمَا ضَمَّا

المتنبي

§ مخرج

اللهم ارحم والدينا واغفر لهم وارضَ عنهم رضا تحل به عليهم جوامع رضوانك، وتحلهم به دار كرامتك وأمانك، ومواطن عفوك وغفرانك، وادر به عليهم لطائف بركتك وإحسانك، اللهم اغفر لهم مغفرة جامعة تمحو بها سالف أوزارهم وسيئ إصرارهم، وارحمهم رحمة تنير لهم بها المضجع في قبورهم وتؤمنهم بها يوم الفزع عند نشورهم، اللهم احفظ لهم ذلك الود الذي أشربته قلوبهم والحنانة التي ملأت بها صدورهم واللطف الذي شغلت به جوارحهم، واشكر لهم ذلك الجهاد الذي كانوا فينا مجاهدين، ولا تضيع لهم ذلك الاجتهاد الذي كانوا فينا به مجتهدين، وجازهم على ذلك السعي الذي كانوا فينا ساعين، والرعي الذي كانوا لنا به راعين، اللهم هب لهم ما ضيعوا من حق ربوبيتك بما اشتغلوا به في حق تربيتنا، وتجاوز عنهم ما قصروا فيه من حق خدمتك بما آثرونا به في حق خدمتنا، واعفُ عنهم ما ارتكبوا من الشبهات من أجل ما اكتسبوا من أجلنا، ولا تؤاخذهم بما دعتهم إليه الحمية من الهوى لما غلب على قلوبهم من محبتنا، وتحمل عنهم الظلمات التي ارتكبوها فيما اجترحوا لنا وسعوا علينا، وألطف بهم في مضاجع البلى لطفًا يزيد على لطفهم في أيام حياتهم بنا اللهم وكما سررتهم بنا في الحياة

فسرَّهم بنا بعد الوفاة، اللهم وما تلونا من تلاوة فزكيتها وما صلينا من صلاة فتقبلتها، وما تصدقنا من صدقة فنميتها، وما عملنا من أعمال صالحة فرضيتها - فنسألك اللهم أن تجعل حظهم منها أكبر من حظوظنا وقسمهم منها أجزل من أقسامنا، وسهمهم من ثوابها أوفر من سهامنا، فإنك وصيتنا ببرهم وندبتنا إلى شكرهم، وأنت أولى بالبر من البارين، وأحق بالوصل من المأمورين، اللهم اجعلنا لهم قرة أعين يوم يقوم الأشهاد، وأسمعهم منا أطيب النداء يوم التناد، واجعلهم بنا من أغبط الآباء بالأولاد، حتى تجمعنا وإياهم والمسلمين جميعًا في دار كرامتك ومستقر رحمتك.

• • •

اللهم يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم ندعوك باسمك الأعظم الذي إذا دعيت به أجبت، أن تبسط على والدتي من بركاتك ورحمتك ورزقك..

اللهم ألبسها العافية حتى تهنأ بالمعيشة ، واختم لها بالمغفرة حتى لا تضرها الذنوب..

اللهم اكفها كل هول دون الجنة حتى تُبَلِّغْها إياها.. برحمتك يا ارحم الراحمين

اللهم لا تجعل لها ذنبا إلا غفرته ، ولا هما إلا فرجته ، ولا حاجة من حوائج الدنيا هي لك رضا ولها فيها صلاح إلا قضيتها، اللهم ولا تجعل لها حاجة عند أحد غيرك

اللهم وأقر أعينها بما تتمناه لنا في الدنيا

اللهم اجعل أوقاتها بذكرك معمورة

اللهم أسعدها بتقواك

اللهم اجعلها في ضمانك وأمانك وإحسانك

اللهم ارزقها عيشًا قارًا ، ورزقًا دارًا ، وعملاً بارًا

اللهم ارزقها الجنة وما يقربها إليها من قول أو عمل ، وباعد بينها وبين النار وبين ما يقربها إليها من قول أو عمل

اللهم اجعلها من الذاكرين لك ، الشاكرين لك ، الطائعين لك ، المنيبين لك

اللهم واجعل أوسع رزقها عند كبر سنها

اللهم واغفر لها جميع ما مضى من ذنوبها ، واعصمها فيما بقي من عمرها، وارزقها عملاً زاكيًا ترضى به عنها

اللهم تقبل توبتها ، وأجب دعوتها

اللهم إنا نعوذ بك أن تردها إلى أرذل العمر

اللهم واختم بالحسنات أعمالها..... اللهم آمين

اللهم وأعنا على برها حتى ترضى عنا فترضى

اللهم اعنا على الإحسان إليها في كبرها

اللهم ورضها علينا ، اللهم ولا تتوفاها إلا وهي راضية عنا تمام الرضى

اللهم واعنا على خدمتها كما ينبغي لها علينا

اللهم اجعلنا بارين طائعين لها

اللهم ارزقنا رضاها ونعوذ بك من عقوقها

اللهم ارزقنا رضاها ونعوذ بك من عقوقها

اللهم ارزقنا رضاها ونعوذ بك من عقوقها

اللهم آمين

اللهم آمين

اللهم آمين

وصلى اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

استعنت بكل من :

- أربعون حديثًا في فضل الوالدين : محمد عبد الرحيم، دار الحكمة، دمشق.
- بر الوالدين : عبد الرحمن عبد الكريم، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع.
- التحذير من عقوق الوالدين وقطيعة الرحم : محمد إبراهيم الحمد.
- الأم، مكانتها ودورها : سعود بن إبراهيم الشريم ، دار الوطن.
- شبكة إسلام أون لاين.
- الشبكة الإسلامية – إسلام ويب.
- شبكة صيد الفوائد.
- موسوعة الأسرة المسلمة.
- موقع البلاغ.
- جريدة الخليج -٢٥-٥-٢٠٠٧.

قالوا عن الكتاب

هذا الكتاب يتحدث عن أهمية بر الوالدين ودوره في تعزيز تكاتف الأسرة، والأسرة اللبنة الأولى لبناء المجتمع. رغم التحديات السلبية التي تواجه النشء في عصرنا هذا.
دعواتي لمؤلفته بالتوفيق والأجر.

الأستاذ/ مبارك عبد الرحمن الدوسري
أستاذ المناهج وطرق التدريس
المملكة العربية السعودية

اطلعتُ على الذي قدمتِه وهو بلا شك يطرق موضوعًا في غاية الأهمية، بل إنه من أهميته جعل الله بر الوالدين قرينًا لعبادته. أسعدني جدًا العمق المعرفي الذي وجدته في بحثك واستمتعت جدًا بالتنقل بين أفكاره.
كل الأمنيات لك بالتوفيق وأن يبارك لك الله في هذا العمل.

المهندس/ خالد الجديع
المدير العام لمركز (مهارتي التعليمي)
المملكة العربية السعودية

عن طريق هذا الكتاب عرفت أشياء عن الإسلام كنت أجهلها، كتاب قيم يستحق الترجمة إلى اللغات الغربية للشباب المسلم بالغرب.

الأستاذ/ عبد السلام زيان
باحث ومؤرخ – السويد

شمس
للنشر والتوزيع
(+٢) ٠١٨٨٨٠٠٦٥ (+٢) ٠٢٢٧٢٧٠٠٠٤
www.shams-group.net